العلاقة بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية

دكتورة/ مضاوي بنت سليمان البسام
أستاذ العقيدة المساعد- قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية- جامعة الملك سعود-المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يعنى هذا البحث بدراسة العلاقة بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية، وذلك بالتعرف على مفهوم النسوية والباطنية، والوقوف على العلاقة المنهجية والتطبيقية والوجدانية بين الاتجاهين، وكشف الخطر العقدي للقراءة النسوية، ومن أهم النتائج: التأويل الباطني هو أهم رافد في الخطاب النسوي وقد اصطبغ بذلك على مستوى التنظير والتطبيق، التفرقة النسوية بين القرآن ككتاب تنزيل وتحوله إلى كتاب تأويل خاضع للمقاييس البشرية هي أساسها تفرقة باطنية بين التنزيل والتأويل ،دعوى الباطنية أن لكل شريعة مدة زمنية محددة هي صورة طبق الأصل لنظرية تاريخية النص ،دعوى الباطنية أن الحق موجود في كل دين هي النسبية التي نادى بها الاتجاه النسوي. واجه الخطاب النسوي دلالة النصوص الشرعية على أحكام المرأة في الإسلام، بالهجوم على سلف الأمة ، كما هو سبيل الباطنية. وجدت النسوية في الباطنية مرتعاً خصباً للمتعة الأنثوية فلا مجال لتحريم الزنا ولا الشذوذ الجنسي.آلت القراءة النسوية للنص الشرعي كما القراءة الباطنية من قبل إلى أخطار على العقيدة الإسلامية. اتسم الموقف النسوي كما الباطنية بالرفض التام لجميع أحكام المرأة في الإسلام، واعتبارها أحكاماً تاريخية.لا تختلف مناهج النسوية في دراسة النص الشرعي عن مناهج الاتجاه الباطني، فاتحدت النتائج.لم تقدم النسوية منهجاً أنثوياً في قراءة النص الشرعي خاصاً بها بل ظلت عالة على القراءة الذكورية إذ استبدلت مناهج علماء المسلمين بمناهج فلاسفة وأئمة الباطنية. الكلمات المفتاحية: النسوية، الباطنية، التأويل الباطني.

Abstract

The methodological, applications and affectional relationships between feminism in the Islamic world and Gnosticism (Batenia)sect is studied. Also the danger on Islamic believe by feminisim is revealed. It is found that the internal interpretation of the Gnosticism is the main base of feminism on theory and applications. The similarity between the two are found also in the forms of the differentiation between the Quran as a revealed book and as an interpretation book, also the historical limit of the script, the relativity of the truth and the offensive attack on early Muslims generations and scholars. The feminism found in Batinia a wide and enjoyable field for female enjoy since prohibiting adultery and homosexuality has no point. Their methodology of Quranic script reading and understanding leads to the same conclusion and danger effects on Islamic believe and leads to a complete refusal and rejection of women Islamic law (Shareea) by considering these laws as historical laws and hence they expired. The feminist movement did not offer a special feminism methodology in reading the Shareea scripts as claimed but it still remained dependent on male reading since it just adopted the methodology of Batinia philosophers instead of that of Muslim scholars.

Key words:feminisim,Batenia, internal interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تعد الحركات الباطنية الأكثر خطراً وتهديداً للإسلام والمسلمين عبر التاريخ الإسلامي كله؛ وذلك لما تنطوي عليه من غموض الحال، وتبنٍّ لمبادئ موهمة، تتدثر زوراً بلباس الدين حيناً وبلباس العقل حيناً آخر.

هذا فضلاً عما عملوا على نشره من زعزعة الأخلاق في المجتمعات المسلمة عن طريق بث الأفكار الهدامة والسلوكيات المشينة بزعم أنها من الدين. ونتيجة لجهود علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين في كشف عوار الاتجاه الباطني وفضح مخططاته بقي منبوذاً في الفكر الإسلامي وشاذاً في أفكاره وتصوراته، ولم يلقَ قبولاً ولا انتشاراً بين المسلمين.

حتى أخذت الفكرة الباطنية تظهر من جديد في الساحة الإسلامية، حيث تبنت عدة اتجاهات معاصرة النظرية الباطنية وامتثلت روحها بكل وضوح؛ وتسمت بأسماء جديدة: كاسم التنوير والتجديد والحداثة والتأويل، ومن أبرز هذه الاتجاهات الاتجاه النسوي الذي لم ترق له أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية، فأجلب بخيله ورجله يريد مسخ حدود الله والعبث بها لكن لم يستطع مكاشفة منهجه لعلمه اليقيني بغيرة المسلمين على دينهم فلم يجد له منفذاً يحقق من خلاله أهدافه ومآربه إلا سبيل الباطنية القديمة فجعل الرؤية الباطنية أصلاً من أصوله ومنطلقاً من منطلقاته المعرفية، ورتب عليه النتائج نفسها التي ترتبت على الباطنية القديمة، فلا يكاد القارئ يجد فرقاً بين الاتجاهين.

والمستقرئ للمنهج النسوي لا تنقصه المؤشرات ولا الدلائل الدالة على الارتباط الوثيق بين الاتجاهين، وحتى لا يكون الكلام مجرد دعوى خالٍ مما يدل على صدقه، جاءت هذه الدراسة لكشف هذه العلاقة وسبر أغوارها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود خطر حقيقي يهدد المجتمع المسلم عامة والمرأة المسلمة خاصة من قبل من يُسمون بالاتجاه النسوي في العالم الإسلامي، والذي ضاق ذرعاً بأحكام المرأة في الإسلام فجابه تلك الأحكام حيناً من الدهر بالرفض والمنازعة حتى يئس من تحقيق غايته، فتدثر بالإسلام زوراً وبهتاناً، ووجد ضالته في الباطنية

التي التمسها ليستر بها سوأته، حتى انخدع بعض من جهلة المسلمين بهذا المنهج، وظنوا أنه الإسلام، فطفقوا يطالبون بأفكار هذا التيار من مثل المساواة المطلقة بين المرأة والرجل، وإلغاء الفوارق وصور التمايز، ورفع مستوى الحريات إلى حد الشذوذ، ليصلوا إلى إلغاء كافة أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية، ولينتجوا ديناً جديداً هو عبادة الأنثى، ولا مفر من محاربة هذا الفكر وكشف حقيقة منهجه الباطني.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

أولاً: خطر الطرح النسوي المعاصر لقضايا المرأة المسلمة على أصول الاعتقاد عند المسلمين، من الإيمان بالله وكتبه ورسله، واستزلالهم المرأة المسلمة إلى تصويب أفكار الأعداء، واقتفاء أثر المرأة الغربية.

ثانياً: الدعم الكبير الذي تحظى به أفكار هذا التيار من قبل أعداء الملة، وترويجها، وإدانة ما يضادها ووصفه بالتعصب والرجعية، تمهيداً لسلخ المرأة المسلمة عن دينها الذي ارتضاه الله لها.

ثالثاً: ازدياد نشاط أصحاب هذا التيار في تولي الدفاع عن قضايا المرأة كما يزعمون؛ وخصوصاً في وسائل الإعلام بأنواعها مما جعل لأطروحاتهم رواجاً وحضوراً غير مدروس على صعيد الإعلام الذي هو الأكثر وصولاً للناس، والتأثير على مفاهيمهم.

رابعاً: جرأة أصحاب هذا التيار في طرح رؤاهم خاصة بعد الأحداث العالمية المتأخرة؛ بما يستوجب التصدي لهذه الرؤى المنحرفة.

خامسا: تنوع اتجاهات التيار النسوي في العالم الإسلامي، وبروز خطرها في العالم الإسلامي.

سادساً: عدم وجود دراسة – حسب علمي – عنيت بكشف حقيقة العلاقة بين النسوية والباطنية.

سابعاً: الحاجة الماسة إلى كشف مخططات أعداء المرأة المسلمة وسبلهم صيانة لها من عبث العابثين، وتطاول المغرضين.

حدود البحث:

سيكون البحث – بإذن الله تعالى – محدوداً ببيان العلاقة بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي بكافة تياراته (النسوية العلمانية، والنسوية الليبرالية، والنسوية

التوفيقية) دون التمييز بينها عند النقل، لأنها جميعاً عند تفسيرها لنصوص الشريعة تستقي من مصدر واحد هو التأويل الباطني ولا يعني هذا المساواة بينهم في الانحراف.

والباطنية القديمة دون الباطنية الجديدة المتمثلة في الهرمينوطيقا الغربية[1].

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات عن الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي المعاصر، إلا أن القارئ لا يكاد يجد فيها – بحسب ما اطلعت عليه – أي بيان للأبعاد العقدية لهذا الفكر وخاصة فيما يتعلق ببيان علاقته بالاتجاه الباطني، ومن أبرز ما اطلعت عليه من الدراسات السابقة عن النسوية في العالم الإسلامي هي:

١- الحركة النسوية الإسلامية في مصر وعلاقتها بالآراء الفقهية، للدكتورة سوسن الشريف، والرسالة كما هو واضح من عنوانها عن النسوية الإسلامية(التوفيقية) في مصر فقط، وقد عُنيت بالجانب الفقهي.

٢- الاتجاه النسوي في الفكر المعاصر – دراسة نقدية – سامية العنزي، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ١٤٣٦هـ – والرسالة تتضمن الحديث عن النسوية بوجه عام من حيث المفهوم والنشأة التاريخية وموقفها من القرآن والسنة والتاريخ، وموقف النسوية من بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة والرد عليها.

٣- قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر – الحجاب أنموذجاً –، ملاك الجهني، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٦هـ، وهي دراسة عنيت بتحديد اتجاهات النسوية في العالم العربي وموقفها من الحجاب على الخصوص.

٤- النسوية العربية: رؤية نقدية، وهو عبارة عن كتاب لمجموعة من الباحثين، ضمّ هذا الكتاب تسعة وثلاثين بحثاً جميعها قد قدِّمت خلال مؤتمر عُقد في الجامعة الأميركية في بيروت. (٤-٧/١٠/٢٠٠٩م)، وجميع هذه البحوث قدمت تأييداً للنسوية في العالم الإسلامي.

---

[1] الهرمنيوطيقا: نشاط فكري يقوم على أساس تفكيك رموز المعنى المختفي في الظاهر والكشف عن مستوى الدلالات الضمنية في الدلالات اللفظية. انظر: الهرمنيوطيقيا وعلم التفسير،محمد بهرامي، مجلة الحياة الطيبة، العدد ٨ ،السنة ٢٠٠٢م، ص٣٧.

٥- المناهج النسوية في دراسة الدين: دراسة نقدية مقارنة، وهو بحث للدكتور .أحمد محمد جاد، نشر في عددين من مجلة الدراسات الإسلامية للجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، والبحث من قسمين، القسم الأول: في بيان العلاقة بين اللاهوت والدراسات الدينية في الدراسات الغربية المعاصرة، والقسم الثاني: في بيان المؤثرات الغربية على الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي.

وكما هو واضح ليس في شيء من الدراسات السابقة الذكر أي بيان للعلاقة بين الباطنية والاتجاه النسوي في العالم الإسلامي.

أهداف البحث:

١- التعرف على مفهوم الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي، والباطنية.

٢- الوقوف على العلاقة المنهجية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية.

٣- الوقوف على العلاقة التطبيقية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية.

٤- الوقوف على العلاقة الوجدانية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية.

٥- كشف الخطر العقدي للقراءة النسوية في العالم الإسلامي.

أسئلة البحث:

١- ما مفهوم الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي، والباطنية؟

٢- ما وجه العلاقة المنهجية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية؟

٣- ما هي العلاقة التطبيقية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية؟

٤- ما وجه العلاقة الوجدانية بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية؟

٥- ما هو الخطر العقدي للقراءة النسوية لأحكام المرأة المسلمة؟

منهج البحث:

سيكون منهج البحث – بعون الله وتوفيقه- المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن.

إجراءات البحث:

١- قراءة كتب ومقالات رموز التيار النسوي لاستخراج مايتعلق بموضوع البحث.

٢- تحليل القراءة النسوية للنص الشرعي؛ ومن ثم مقارنتها مع المنهج الباطني دون تحامل أو تجني.

٣- تمييز أنواع العلاقة بين الباطنية والنسوية وعدم الاكتفاء بما هو معتاد غالباً في الأطروحات العلمية من بيان الالتقاء المنهجي فقط.

٤- التمثيل بأقوال بعضهم في المسألة الواحدة لا يعني المساواة بينهم في الانحراف.

٥- الترجمة لجميع رموز التيار النسوي الواردين في البحث دون ماسواهم.

٦- توثيق الآيات والنصوص ووضع فهارس للمراجع.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة.

التمهيد وفيه تحديد مصطلحات البحث.

المبحث الأول: العلاقة المنهجية بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية.

المبحث الثاني: العلاقة العملية (التطبيقية) بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية.

المبحث الثالث: العلاقة الوجدانية بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

أسأل الله أن ينفع به من كتبه، وقرأه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

التمهيد

تحديد مصطلحات البحث

النسوية: تعني ذلك الاتجاه الذي يتمركز حول الأنثى بهدف تغيير اللغة الإنسانية، ومسار التاريخ والطبيعة البشرية مستخدماً أدوات التحليل الديني والسياسي والاجتماعي والفلسفي حتى يتم اختلاط الأدوار ويتحسن أداء المرأة في إدارة الصراع مع الرجل[١].

وقد تنوعت التيارات النسوية في العالم الإسلامي إلى النسوية العلمانية، والنسوية الليبرالية، والنسوية التوفيقية، ورغم تنوعها إلا أن كلاً منها قد تعامل مع النصوص الشرعية بطريقة تأويلية باطنية، وبالرغم مما يدعيه بعض رموز هذه التيارات خاصة من يسمون أنفسهم بالنسوية الإسلامية (التوفيقية) من مرجعيتهم للكتاب والسنة، فإننا نقول:لاعبرة بما يدعيه مؤول النصوص الشرعية إذ المهم هو مايمارسه لا مايدعيه، وبناء على هذا يمكن أن نعرف نسوية العالم الإسلامي بحسب ما بينها من قواسم مشتركة بأنها: حركة تقوم على إعادة تناول النصوص الدينية وتحديثها وفق الفهم العصري الجديد في قواعد التأويل ومناهجه المستحدثة، وتناول النصوص التي استوعبت في مواطنها الانحيازات الذكورية – كما يزعمون – يستخرجون منها حقيقة المساواة بين الجنسين وفق معطيات مفهوم النوع (الجندر).

ولذا فإن الانتساب إلى أيّ منها ليس مؤثراً في واقع الأمر، فالمعول عليه – كما ذكرت إحدى منظرات النسوية وأهل الدار أدرى بما فيها – هو النتاج العلمي الذي يصب في التأويلية، مع اختلاف المقاربات والأدوات المعرفية والمنهجية التي يتم تناول قضايا المرأة في أطرها[٢].

---

[١] انظر: الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، خديجة العزيزي، ص ١٧، وحركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، مثنى الأمين الكردستاني، ص٥١، وقضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، عبد الوهاب المسيري، ص٢٩-٣٠.

[٢] انظر: بيلوجرافيا اتجاهات عامة وأساسية لنسوية إسلامية عربية المنشأ – حسن عبود، ورقة عمل نشرت في كتاب: النسوية والمنظور الإسلامي ص ١٩٠-١٩١.

وعليه فسيتم في هذه الدراسة إبراز العلاقة بين الباطنية وسائر تيارات النسوية في العالم الإسلامي، باعتبارها منظومة فلسفية تنتهي إلى جذر واحد، وتستند على أصل واحد في التعامل مع أصول الشريعة (التأويل).

الباطنية: اصطلاح عام يطلق على جميع الطوائف و الفرق المتعددة المتشعبة، وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص الشريعة تأويلاً باطناً يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم[1] قال الشهرستاني(ت ٥٤٨ه) في سبب تسميتهم بهذا اللقب: إنه لزمهم بهذا اللقب لحكمهم بأن لكل شيء ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويلاً[2].

وهي المقصودة في هذه الدراسة، دون الباطنية الجديدة المتمثلة في الهرمينوطيقا الغربية.

---

[1] انظر:بيان تلبيس الجهمية، ١٦٧/٢-١٧١.بتصرف واختصار.

[2] انظر: الملل والنحل، الشهرستاني٢٩٢/١.

المبحث الأول: العلاقة المنهجية بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية.

الاتفاق في المنهج بين النسوية العربية والباطنية لا يكاد يختلف؛ سواءً على مستوى الوسائل أو الغايات، وبيان ذلك التالي:

أولاً: القول بالظاهر والباطن:

يقوم المذهب الباطني على فكرة الظاهر والباطن للنصوص الشريعة، واعتبار الظاهر بمنزلة القشر والباطن بمنزلة اللب، وأنه لا يستقيم الباطن إلا بالظاهر، يقول إخوان الصفا في رسائلهم: "اعلم أن للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة والمسموعة، ولها تأويلات خفية باطنة، وهي المعاني المعقولة"[١]. ومن أقوالهم أيضاً: "من عرف الصورة الباطنية فقد عرف حكم الكتاب، ورفع عنه الحساب، وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب"[٢]، وهذا أحد متأخريهم يدعو بني ملته إلى الرجوع إلى عقيدة الباطن فيقول: "إن الذي دفعني لتصنيف هذه الرسالة المباركة ما رأيته من ميل أبناء هذه الدعوى الهادية [أي الباطنية] إلى التمسك بظاهر العقيدة دون باطنها"[٣].

ولا يكاد يختلف الظاهر والباطن في مفهوم الباطنية عنه في المفهوم النسوي العربي، فكلاهما يقفز إلى التأويل الذي يرتضيه منهجه، فالظاهر والباطن عند الباطنية هو المغزى والمعنى، وما بين السطور، وما يخفيه النص... عند النسوية في العالم الإسلامي تقول نائلة السليني[١]: "ألا يمكن القول إن التفسير علم تكفل بكل الجوانب في النص محكمه وغيره، فاعتبره ظاهراً مطابقاً كباطنه؟ قد نذهب هذا المذهب إلا أننا نشهد في الوقت نفسه أن ادعاء كل سيطرة على النص المقدس بالتفسير هو مجرد زعم أو قل مجرد ظن لأنه يعز شد جموح اللغة التي نُظِم فيها النص لما يعسر حصر الدلالة في قوالب جامدة"[٤]، وتقول: "إن مفهوم النص«زئبقي» الملمس واحد في أصله متعدد في أوجهه[٥]،... ولكي نتحرر من المسلمات النقلية التي تؤثر في منهج التعامل مع النص القرآني وتسعى في أحيانٍ كثيرة إلى حجب المعنى الأصلي الكامن فيه، ولا شك

---

[١] رسائل إخوان الصفا ١٣٨/٤.

[٢] الجيل الثالث، مصطفى غالب ص ١٤١.

[٣] مطالع الشموس في معرفة النفوس، ضمن أربعة رسائل إسماعيلية، أبو فراس الباطني ص٣٠.

[٤] تاريخية التفسير القرآني، نائلة السليني ص٨.

[٥] المرجع السابق ص٢١.

أن هذه السبيل تهدي إلى المسافة الفاصلة بين حقيقة المعنى القرآني والمعنى المتأول منه"[١].

وتقول: "إن النص المنزل استبطن العلاقة على النص المتروك"[٢].

وتعبر آمنة ودود[٣] عن الظاهر والباطن بقولها: "النص ثابت وفهمه ومغزاه يتغير"[٤].

وتقسم ألفة يوسف[٥] الخطاب في القرآن والسنة إلى: إخبار ظاهري، وهو المستمد من ظاهر الخبر، من ظاهر النص، وإخبار ضمني وهو فيما يوحي به الخبر ويضمره[٦].

وتقول: "إن تأويل القرآن لا يمكن أن يخرج عن المعروف أي عن المعرفة البشرية المتحولة دائماً والمتجددة أبداً.. والنسبية البشرية هي التي تجعل باب الاجتهاد مفتوحاً دائماً وهي التي تجعل كل من قراءة القرآن مغامرة دائمة شوقاً إلى المعنى الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى"[٧].

وتشرح ألفة يوسف في موضع آخر معنى قولها المعنى الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله بقولها: "إن تحديد المتكلم لمعاني كلامه لا يمكن من تحديد المعنى المقصود، فضلاً عن أن يغيب ذلك التحديد. لذلك نقرر أن جميع تفاسير القرآن ليست سوى معان ثوان ممكنة لا يعقل أن يدعي أحدها موافقته للمعنى الأول. ولذلك لا يجوز أن نجد بعد قال الله تعالى إلا تكراراً للفظ القرآن. فالقرآن مهما يكن معجزاً لا يمكنه أن يخرج عن

---

[١] المرجع السابق ص٣٦.

[٢] المرجع السابق ص ٢٣٩.

[٣] آمنة ودود: أستاذة مشاركة في قسم الدراسات الدينية والفلسفية في جامعة فرجينيا، من مؤلفاتها: القرآن والمرأة.

انظر: دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، جيزيلا ويب، ص(٣٢)، ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٢م.

[٤] القرآن والمرأة، آمنة ودود ص ٢٢.

[٥] ألفة يوسف: باحثة تونسية، متخصصة في اللغة العربية واللسانيات، شغلت منصب مديرة المعهد العالي للطفولة، ومديرة المكتبة الوطنية التونسية، من مؤلفاتها: شوق:قراءة في أركان الإسلام.

[٦] انظر: الإخبار عن المرأة في الكتاب والسنة، ألفة يوسف ص٨١.

[٧] انظر: حيرة مسلمة، ألفة يوسف، ص ٢٢٢-٢٢٣.

هويته الجوهرية التي تجعله قولاً أي حاملاً معاني ليست سوى آثار على المعنى الأصلي الإلهي الذي يظل منشوداً مستحيلاً ممتنعاً لا يمكن أن ينقال، وهذا المعنى الأصلي يندرج في نظرنا ضمن مدار الواقعي في علم النفس التحليلي اللاكاني، فالواقعي هو المحال الذي لا تبلغه الحواس وهو الغائب دائماً عن التمثيل الذي يحاول الإحاطة به. فلا يمكن أن يتطابق الواقعي مع الرمزي ممثلاً في الكلام، وليست محاولة بعض المفسرين قديماً وحديثاً البحث عن معنى القول الواحد الذي يقصده الله سوى سعى إلى نفي الشرح القائم بالضرورة بين الواقعي والرمزي"[١].

وهكذا لا يكاد يفترق ما تفوهت به النسوية اليوم عن ما قاله الباطنيون بالأمس.

ثانياً: التفريق بين التأويل والتنزيل وتعظيمهم للتأويل:

جاء في كتب الباطنية قولهم: "وفي آيات كثيرة من كتابه سبحانه وتعالى ذكر الأمثال والباطن، والتأويل، وذلك معروف في لسان العرب الذي نزل القرآن به، وخطبهم بلسانه فيه، وذلك من معجزات وغرائب تأليفه، أنه يأتي الشيء الواحد وله معنى في ظاهره، ومعنى في باطنه، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله جدهم، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة وذريته"[٢]، ويتولى مصطفى غالب الباطني[٣] (ت١٤٠١ه) توضيح هذا الكلام فيقول: "والتأويل حسب

---

[١] تعدد المعنى في القرآن الكريم، ألفة يوسف ص٥١٦-٥١٧.

[٢] أساس التأويل، القاضي النعمان ص١٤.

[٣] مصطفى غالب: كاتب باطني سوري قال عن نفسه: " ولا أخفي على القارئ الكريم مدى إيماني وتأثري بالعقائد الباطنية وأصولها وأحكامها"،خدم التراث الباطني، أصدر عام ١٩٥٣م أول كتاب له بعنوان: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، وافتتح عام ١٩٥٤م مكتب إخوان الصفاء للدعاية والنشر بسلمية، وأصدر العدد الأول من مجلة الغدير عام ١٩٥٥ م، وأصدر أول كتاب محقق بعنوان "كتاب البيان لمباحث الإخوان"، وبلغ عدد مؤلفاته وكتبه المحققة تقريباً ١٠٣ كتب ومن أعماله المؤلفة: أعلام الإسماعيلية- الإسماعيلية في بلاد الشام- في رحاب إخوان الصفا- الإمامة وقائم القيامة- آغاخان في سورية- القرامطة بين المد والجزر.ومن مخطوتاته المحققة: رسالتان اسماعيليتان (حسن المعدل)- المصابيح في إثبات الإمامة (الكرماني)- الهفت الشريف (المفضل الجعفي)- أربع كتب حقانية (عدة دعاة)- تفسير القرآن الكريم (ابن عربي)- أسرار وسرائر النطقاء. انظر:=

المفهوم الإسماعيلي يختلف تمام الاختلاف عن التفسير مما يفهمه عامة الفرق الإسلامية الأخرى، لأن التفسير يقصد به شرح أو ترجمة المعنى لكل كلمة أو جملة عامة لا يفهم معناها، أما التأويل فيقصد به باطن المعنى، أو رموزه، وإشاراته أو الجوهر الخفي وراء الكلمة التي لا تدل عليه، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن المذهب الإسماعيلي يخص الناطق [النبي] بالتفسير الظاهر، ويعطي حق التأويل الباطن للإمام"(١).

وهكذا ترى نسوية العالم الإسلامي أن القرآن كتاب تنزيل وكتاب تأويل، والتأويل خاضع لمقاييس البشر تقول آمنة ودود: "من الممكن تقسيم تفسير القرآن إلى مستويين: مستوى القراءة ومستوى التفسير. وعلى مستوى القراءة يقوم كل قارئ بالتفسير في أثناء قيامه بالقراءة. وتشكل الاتجاهات والتجارب والذاكرة ووجهات النظر الخاصة بلغة كل قارئ هذا المستوى من التفسير: النص المسبق. وفيما يتعلق بمعظم الموضوعات، يعكس النص المسبق فهماً معيناً خاصاً بالجنس. وتبرز الاهتمامات المحددة الخاصة بالجنس في النص القرآني هذا الفهم. وتركز على أهميتها بعبارات معينة. أما على مستوى التفسير. فقد تم القيام بمحاولة للتغلب على وجهات النظر الفردية بقصد تناول القرآن على نحو أكثر موضوعية.... غير أنه ليس ثمة تفسير قادر على إزالة أهمية القراءة الشخصية وقوة النص المسبق من التفسير... ومن المهم أن تستمر سمة التفسير القابلة للتكيف من فرد إلى فرد ومن زمان ومكان في الانطلاق حتى قيام الساعة"(٢).

وتقول نائلة السليني: "النص كائن حيّ ينمو نمو قارئه ولذلك أفلت من قيود علم التفسير، وكلما تأخر اللاحق عن فترة التأسيس ألحّ عليه السؤال واحتار في جواب يوفق بين الإشباع الإيماني والإقناع العقلي. ذلك هو مشغل التأويل، الذي رغم أصالته، نشأ رافضاً للرسوم التي فرضتها عليه مؤسسة التفسير"(٣).

=الحركات الباطنية، مصطفى غالب،ص٢٦٨، وبحث"مصطفى غالب حامل التراث الإسماعيلي وناشره" ،محمد فرحات، جريدة السفير اللبنانية، العدد٢٠٥٤، تاريخ ١٩٨١/٨/٢٣م.

(١) الحركات الباطنية في الإسلام، مصطفى غالب، ص٩٣.

(٢) القرآن والمرأة، آمنة ودود ص١٤٧.

(٣) تاريخية التفسير القرآني، نائلة السليني ص٨.

وتقول فاطمة المرنيسي[١]: "القرآن هو مجموع إشارات بحسب فك رموزها بالعقل، العقل الذي يرتب مسؤولية الفرد، وعملياً سيارته. ولكي يمكن للإله أن يوجد كسلطة قوة، وقانون ورقابة اجتماعية، يجب على السلطة التي كانت فيما سبق تضمن هذه الوظائف أن تزول"[٢].

وتوجه النسوية أماني أبو الفضل[٣] أهل دارها بضرورة نبذ الرؤية الدينية الذكورية التي ساءت قروناً من الزمن.. وتوظيف النصوص الشرعية وسحب قواعد وآليات غربية في عملية التأويل المعاصر، وهذه القراءة المعاصرة للقرآن – على حسب قولها – ستفتح منها آفاق واسعة نحو تشكيل قواعد وآليات جديدة لنقد التفاسير السابقة[٤].

ثالثاً: التشكيك في الكتاب والسنة:

من وصايا الباطنية لدعاتهم قول أحدهم إلى داع من دعاته: وأوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإبطال المعاد[٥].فاذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو من دونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسّنة غير ظاهرها فاخرجوه بهذه الحيلة عن العمل باحكام الشَّريعة فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمَات[٦].

وعلى الرغم من دعوى النسوية التأويلية: أن القرآن يمثل المرجعية الأولى لأطروحاتهن إلا أن حقيقة الطرح النسوي يؤول في النهاية إلى إلغاء أحكام القرآن

---

(١) فاطمة المرنيسي: كاتبة نسوية مغربية ولدت سنة ١٩٤٠م، درست في فرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية، تهاجم في كتاباتها الإسلام والمرأة المسلمة، ومعظم كتاباتها باللغة الفرنسية، عملت بمركز البحوث الأمريكي في المغرب، نشرت كتاباتها في إحدى كبريات مجلات جامعات أمريكا (أنديانا) من مؤلفاتها: «ما وراء الحجاب»، و«أحلام النساء الحريم» توفيت سنة ١٤٣٦هـ.
انظر: موقع فاطمة المرنيسي على الشبكة العنكبوتية، رابط http:www.mernissi.net .

(٢) الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي، ص٢٢٤.

(٣) أماني أبو الفضل: باحثة مصرية متخصصة في العلوم السياسية، مهتمة بقضايا المرأة، وقامت بتحرير عدة مشروعات بحثية، منها مجلة المرأة والحضارة.

(٤) انظر: المرأة في القرآن، خبرة الباحث الاجتماعي في الاقتراب من النص القرآني، مجلة المرأة والحضارة، العدد الثالث، ١٤٢٣هـ، ص٢١٠.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٢٧٧.

(٦) انظر: المرجع السابق ص٢٩٣.

التشريعية الخاصة والجزم – وليس الشك – بأن أحكامه لم تعد تناسب العصر المادي الحداثي، ليبقى القرآن لمجرد التلاوة والتبرك.

تقول رجاء سلامة[١]: "حان الوقت لكي نعدل عن الاجتهاد في الآيات إلى الجهد النفسي والعقلي لتحديد علاقتنا بالنص المقدس: إنه نص تعبدي يمكن أن يتخذه المؤمنون للعبادة وربما أمكنهم استلهام بعض مبادئه الكبرى لتطوير منظومة حقوق الإنسان لا لرفضها (الرحمة الفردية) ولكن لم يعد بالإمكان اتخاذه مصدراً للتشريع في مجال المعاملات بين البشر"[٢].

ولطالما قدحت النسويات التأويليات في صحة تواتر القرآن للتشكيك فيما يتضمنه من أحكام فقهية خاصة بالمرأة تقول نائلة السليني في كتابها الموسوم: تاريخية التفسير القرآني – النكاح والطلاق والرضاعة والمواريث[٣]: "نحن لا نرجح تلك الأخبار التي تؤكد أن عثمان استطاع فعلاً أن يحرق كل المصاحف، لوجود أخرى تبين رفض أهل الكوفة النسخة التي بعث بها إليهم، وأخبار أخرى تؤكد توارث مصاحف للصحابة وقد تكتم عليها أحفادهم. فقد حاول العلماء أن يخرجوا من مأزق طعون هؤلاء على المصحف الإمام وذلك بإنشاء أدبيات تحكي قصة الوحي المنزل على محمد النبي كان في بداياتها عبارة عن إحالات نصية مقتضبة، إن لم نقل موهمة برواية قصة للوحي".

وتقول: "إشكالية النص القرآني في عدة وجوه، من أدقها تحول كلام الله من مرتبة القرآن إلى كلام مصرف في لغة العرب، ومن قرآن هو معجزة النبي إلى صحف رتبها زيد بن ثابت على عهد أبي بكر إلى مصحف إمام جمع عليه عثمان أمة المسلمين وأقصى كل قراءة توازيه، ولهذا أثر في مقالة المفسر. قد يتجلى أحياناً في

---

(١) رجاء سلامة: كاتبة نسوية تونسية، ولدت سنة ١٩٦٨م، أستاذة في اللغة والآداب بفرنسا وبكلية الآداب في تونس، وهي أحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العقلانيين العرب ولجمعية «بيان الحريات» والجمعية الثقافية التونسية للدفاع عن اللائكية، تعمل حالياً رئيسة تحرير مجلة الأوان، من مؤلفاتها: «نقد الثوابت: آراء في العنف والتمييز والمصادرة»، و«بنيان الفحولة: أبحاث في المذكر والمؤنث». انظر: موقع ديوان العرب رابط http://www.diwanalarab.com. (١٤/ يوليو / ٢٠٠٤م، بقلم رجاء بن سلامة.

(٢) بنيان الفحولة: أبحاث في المذكر والمؤنث، رجاء سلامة، ص٧٠.

(٣) ص٥٢.

وعي العالم بتلك المسافة الرقيقة الهامة بين كلام الله القديم لأنه جزء من صفاته المتعالية وذاك الكلام المصرف في لسان العرب، وقد يتجلى أحياناً أخرى في استحضار المفسر لكلام الله من صحف أخرى لم تستقر في المصحف الإمام"[١].

وتنسب ألفة يوسف – زوراً وبهتاناً – إلى المفسرين اعتقادهم وجود تحريف في القرآن فتقول: "إن من الطريف أن المفسرين في نشدانهم تفسيراً للنص يلائم المجتمع الأبوي... لا يتحرجون من إضمار وجود تحريف طرأ على القرآن أس الرسالة المحمدية"[٢].

أما السنة النبوية فإن كثيراً من النسويات التأويليات يرفضن أي حديث يدين المرأة – كما يعبرن – وإن كان قد حُكم بصحته وثبوته، وحتى إن كان الراوي هما: البخاري أو مسلم؛ بل ترى بعض النسويات أن أحاديث البخاري ومسلم يجب التعرض لهما بالنقد والتمحيص والتشكيك، ومن ثم رفضها، فهما يمثلان مرجعاً لم يتم التعرض له بالنقد، بالرغم من إمكانية نقده وبشكل تفصيلي، ولكنه يستمد نفوذاً يصعب اختراقه وذلك من الإجماع الذي وظيفته التوثيق[٣].

تقول رفعت حسن[٤]: "إن قراءة القرآن من خلال عدسة الحديث، هو برأيي السبب الرئيسي في الفهم الخاطئ والتفسيرات والتأويلات الخاطئة لكثير من النصوص التي استخدمت في إنكار مساواة وعدالة النساء"[٥].

وتنتقد النسوية نعمت حافظ[١] فعل المسلمين من اعتمادهم على السنة كمصدر ثانٍ في المرجعية الدينية فتقول: "لكن الذي حدث أن المسلمين قلبوا الترتيب إلى حد

---

[١] المرجع السابق، ص٩-١٠.

[٢] حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص٥٤.

[٣] انظر: الإسلام وحقوق المرأة، رفعت حسن (ص١٧).

[٤] رفعت حسن:أستاذة الدراسات الدينية والإنسانية بجامعة لويزفيل في كنتاكي، ورئيسة شبكة النساء ضحايا العنف وحقوقهن في باكستان، حاصلة على الدكتوراه من جامعة درهام حول الأفكار الفلسفية لمحمد إقبال من مؤلفاتها حقوق المرأة والإسلام. انظر:دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، جيزيلا ويب، ص٢٩.

[٥] المرجع السابق، (ص٢٧).

كبير عندما جعلوا النبي صلى الله عليه وسلم وسنته مثاليين أكثر من القرآن، كما ينسى معظم المسلمين المعاصرين حتى أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم (المؤدية إلى نصوص خارجة عن المضمون القرآني، أي نصوص الحديث، لا تحل محل النص القرآني)" [٢].

ولذلك تتعرض النسوية نعمت حافظ لشروح السنة والأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم بالطعن والتشكيك فيها، وادعاء تعارضها مع ظاهر النص القرآني، واعتبارها السبب الرئيسي في الفصل المعرفي والعملي للنساء، عن بناء المجتمع الإسلامي، واعتماده على الذكور في هذا المجال، والسبب يعود للرؤية التقليدية المتأصلة عن الجنس الأنثوي، مما تسبب في إقصائها ودونيتها[٣].

وتقول ألفة يوسف: "السنة نص مفتوح لم ينقل لفظاً تدخل المقام الخارجي كثيراً عند جمعه ولمه وبلورته"[٤].

وبالجملة تقف النسوية التأويلية عند السنة النبوية باعتبارها مادة تاريخية لا تحمل في طياتها أي قداسة، مما يستوجب تقويضها، وإعلان القطيعة عنها، ويتم ذلك من خلال إخضاعها لأدوات النقد الغربية[٥].

رابعاً: سب الصحابة – رضوان الله عليهم – والسلف الصالح وإهدار فهمهم للنصوص الشرعية:

القاعدة الباطنية التأويلية التي تتفرع عنها جميع أطراف منهجهم قولهم: "اعلم أن كل ما ورد عليك في كتاب الله عز وجل من الجبت والطاغوت، وإبليس وهاروت،

---

[١] نعمت حافظ: ناشطة نسوية سورية الأصل، حاصلة على الدكتوراه من جامعة كورنيل في التربية، ولها اهتمام بشؤون المرأة، عملت أستاذة زائرة في أكثر من جامعة. وهي عضو عدد من الجمعيات العلمية والثقافية.

انظر: موقع دار الفكر الإلكتروني http://fikr.com

[٢] قراءة جديدة للقرآن، نعمت حافظ ص٤٢.

[٣] انظر: المرجع السابق ص٧٩.

[٤] الإخبار عن المرأة في القرآن والسنة ص٣١.

[٥] انظر: الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص٤٥ وما بعدها.

وماروت، ويغوث ويعوق، ونسراً وداً وسواعاً، فمثلهم وشكلهم على ... الظاهر، ورؤسائهم وعلمائهم بعد أئمتهم الجورة المعاندين لأهل الحق والمخالفين لأولياء الله"[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – (ت٧٢٨ه) في بيان منهجهم هذا: "يقدحون في النقل وهو قول جهالهم، ويقدحون في فهم الرسالة وهو قول حذاقهم"[٢].

هذا هو منهجهم في التعامل مع الصحابة وسلف الأمة ولا يستثنون منهم أحداً إلا من باب التقية والكتمان يقول الديلمي(ت٧١١ه) [٣]: "إنهم يكفرون الأمة المسلمة بأجمعها ويسموهم الأمة المنكوسة عن رشدها، ويسمون الأمة والعلماء الفضلاء من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الطواغيت والأصنام، ويتأولون على هذا جميع آيات القرآن التي ذكر فيها الجبت والطاغوت"[٤].

وكثيراً ما تتهجم الباطنية على علماء المسلمين – ولاسيما المفسرين منهم – فيصفونهم بالعامة حيناً وبالجهال حيناً آخر[٥].

وهذه المرحلة من مراحل المنهج الباطني، قد دأب كثير من النسويات على سلوكها حتى أصبح القدح في الصحابة معلماً بارزاً في منهجهم.

فهذه ألفة يوسف تطعن في عدالة الصحابة وتزعم أنهم كرهوا حكم الله ولم يسلموا له فتقول: "يجب أن لا ننسى أن بعض المسلمين انزعجوا أيما انزعاج من إسناد الله تعالى نصيباً من الميراث للنساء فهؤلاء – وهم المسلمون الأوائل الذين يقدّمهم لنا البعض اليوم في صورة مثالية يطيعون دون تلكأ وينفذون دون نقاش – لم يقبلوا أوامر الله تعالى بتوريث النساء إلا على مضض.. ولعلّ هؤلاء الذين ترجوا السماء لتغير حكمها ثم قبلوا الواجب عن مضض أقلّ استنكاراً لكلام الله من مسلمين سواهم ودّوا لو

---

[١] مباسم البشارات، الكرماني ص٤٩.

[٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٠٣/٤.

[٣] محمد بن الحسن الديلمي:فقيه زيدي،أصله من الديلم. انتقل إلى اليمن وسكن صنعاء وتوفي بوادي مر في رجوعه إلى بلاده عام ٧١١ه له (قواعد آل محمد) وهو من أصول كتب الزيدية، والصراط المستقيم، والمشكاة من الموانع المردية في الزهد. انظر:الأعلام للزركلي ٨٦/٦-٨٧.

[٤] بيان مذهب الباطنية، الديلمي ص٩٠.

[٥] انظر: الرسالة المذهبة، النعمان بن حيون ص٩٣.

نسي الرسول قوله أو غيّره... فإذا تلدّد هؤلاء المثاليون صحابة الرسول ومعاصروه عن توريث البنات فلن نستغرب أن يتواصل إلى اليوم في عدد كبير من المجتمعات الإسلامية.."[١].

وإن كانت الباطنية قد خصت بعض الصحابة بمزيد عداء منهم أبا بكر وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما، فقد خصت الباطنية الحديثة المتمثلة – بالنسوية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بمزيد عداء حتى أطلقوا عليه عدو المرأة – حاشاه ورضي الله عنه – وزعموا أنه قد صدرت بسببه كثير من أحكام المرأة الجائرة[٢].

تقول فاطمة المرنيسي: "إن عمر هو من أسس الحجاب، بالرغم من عدم موافقة النبي على ذلك"[٣].

وإن سبب فرضه الحجاب هو الحاسة الذكورية في المجتمع النبوي لأجل «إن يكون طريقة لرقابة الجنس»[٤].

بل بلغ الأمر أن ادّعت المرنيسي – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بفرضه الحجاب كما تزعم هو أول من جنى على الإسلام وحضارته وقضى – على تطلعاته التحررية في مهدها، وعمد إلى طمس البعد الحضاري والتحرري الذي نادى به الإسلام، وأنه مسؤول عن الظلم الذي لحق بالمرأة المسلمة خلال قرون طويلة بسبب الحجاب[٥]، بحسب تعبيرها.

وأما اتهامه – رضي الله عنه وحاشاه – بالخيانة في التبليغ، والشدة والغلظة فأمر يطول، تقول نائلة السليني: "بما نعلل سكوت عمر مما روي عن الرسول من أحكام، تغيب الإشارة إليها في خطبة أراد أن تكون عقداً يبرمه مع المسلمين، ولا يمكن بأي حال القول أن عمر كان قد جهلها"[٦].

---

[١] حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص٣١، (ط الثامنة ،٢٠١٦م).

[٢] انظر: الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص٢٠٢-٢١٢.

[٣] المرجع السابق ص٢٢٢.

[٤] انظر: المرجع السابق ص٢٢٠.

[٥] انظر: الحريم السياسي ص٢٢٥، والاستغراب في الفكر العربي المعاصر، عبد الله الشارف ص١٤٤.

[٦] تاريخية التفسير، نائلة السليني، ص١٨٠.

وتقول ألفة يوسف في معرض تسويغها نكاح المتعة: "يجب أن لا ننسى أن عمر قد عطل حكمين قرآنيين صريحين وهما قطع يد السارق ومنع الصدقات للمؤلفة قلوبهم، فإذا كان الرجل قد تجرأ على النص الأصلي الذي حفظه الله عز وجل من النقصان والتحوير فلم نتعجب من نهي عمر عن متعة سمح بها الرسول؟"[١].

ولا تفتأ ألفة يوسف من وصف عمر – رضي الله عنه – بالشخصية الفظة المتشددة[٢].

أما موقفهم من بقية الصحابة – رضوان الله عليهم– فإليك طرفاً منها:

تقول المرنيسي عن الصحابي أبي بكرة: "ينبغي استبعاده على الفور، لأن سيرته الذاتية، كما رواها ابن الأثير، تنبئ أنه قد أدين"[٣].

وترد النسوية أيضاً أحاديث الصحابي الجليل أبا هريرة، ويتهمونه بكراهيته للنساء وللجنس الأنثوي عامة إذ تقول المرنيسي: "إن أبا هريرة لم يكن مسروراً بلقبه الذي لقبه به الرسول، لأنه لم يكن يحب الأثر النسوي في اسمه"[٤].

وقد تعرض أبا هريرة – رضي الله عنه – من قبل النسوية للتجريح والتشكيك في صحة رواياته، واتهامه بالكذب وتعرضه للنسيان، وأن عائشة – رضي الله عنها – عارضت الكثير من أحاديث أبي هريرة، وأنه غير موثوق لأن يصغى إليه، وأنه لا وازع لديه[٥].

وتجرد المرنيسي عشرات الصفحات من كتابها «الحرم السياسي» للقدح والسب والشتم في هذا الصحابي الجليل – رضي الله عنه – لأنه روى بضعة أحاديث عن المرأة لا توافق هواها المحكوم بالاتفاقيات الدولية للمرأة.

---

(١) حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص٩٦-٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٢.

(٣) الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص٧٧.

(٤) المرجع السابق،ص٩٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٩٩.

وينال تجريحها جماعة أخرى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم لأنهم كما تزعم أعداء المرأة إذ رووا بعض الأحاديث الخاصة بالمرأة منهم عمرو بن العاص وابن عمر[١] – رضي الله عنهم أجمعين –.

وتتفق جميع النسويات التأويليات على أن حقوق المرأة في القرآن قد فسرها وخالف حقيقتها الربانية الحقة المفسرون والفقهاء الذكور، وأن جل كتاباتهم كانت نتاج مجتمعهم الذي تشبع بمنظور أبوي مضطهد للمرأة، لأجل ضمان مصالحهم وسيادتهم فصاغوا قوانين جائرة بحق المرأة تقول آمال قرامي[٢] في معرض سياق مناهضتها التفسير الذكوري – بحسب تعبيرها –: "رفض المركزية الدينية التحيزات الذكورية الكامنة في الخطاب والوعي وتعرية المصالح الذكورية، فضلاً عن التنديد بهياكل الهيمنة وأشكال القهر المتسلط على النساء، فالتمييز الحاصل ضد المرأة هو نتيجة قراءة حرفية وسيئة للنصوص الدينية تغلب موازين القوى والمصالح الاجتماعية"[٣].

وتقول رفعت حسن: أقوال المفسرين التي شرعت أحكاماً متحيزة ضد المرأة، يجب أن تدحض وتناهض، لأجل تحقيق العدل بين البشر كافة [٤].

وتقول: "إن المصادر التي أُسست عليها التقاليد الإسلامية كالحديث والفقه؛ قد فسرت من قبل رجال مسلمين أعطوا لأنفسهم بغير حق مهمة تحديد الحالات الوجودية واللاهوتية والاجتماعية والقدرية للنساء المسلمات"[٥].

---

[١] انظر: المرجع السابق، ص٩٠-١٠٢.

[٢] آمال قرامي: أستاذة محاضرة بالجامعة التونسية أنجزت أطروحتين الأولى: قضية الردة في الفكر الإسلامي، والثانية: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، تأثرت كثيراً بفكر الحداثي عبد المجيد الشرفي، وهي عضو بمؤسسة الكرامة.

انظر: الحركة النسوية الإسلامية في مصر، سوسن الشريف، ص١٩٢، ط١، القاهرة: روافد، ٢٠١٥م.

[٣] النسوية الإسلامية، حركة نسوية جديدة أم استراتيجياً نسائية لنيل الحقوق، آمال قرامي ص٣٦٩.

[٤] انظر: النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، رفعت، حسن، ضمن مجموعة كتاب النسوية والدراسات الدينية ص٢٣٣-٢٣٤.

[٥] الإسلام وحقوق المرأة، رفعت حسن ص١٠.

وتتهم ألفة يوسف الفقهاء والمفسرين بأنهم يقولون بالتحريم والتحليل حسب هواهم ورغباتهم فتقول: "إنّ المفسرين والفقهاء يعمدون أحياناً إلى مجرد النظر العقلي ليقرّوا أحكاماً إلهية وها أنهم يجوّزون ذلك متى شاؤوا ويمنعونه متى شاؤوا"[١].

وتقول: "إن الفقهاء والمفسرين لم يدّخروا في مقابل ذلك أيّ جهد في اعتماد الإجماع البشري أو (بالأحرى الذكوري) واعتماد أخبار الآحاد والقراءات الشاذة حتى يغمطوا المرأة حقّها...بل إنهم قد خالفوا صريح النص أو أضمروا إمكان تحريف القرآن في أحيان أخرى حفاظاً على مصالحهم..." [٢].

وتقول نائلة السليني: "فبقدر ما كانت الأحكام تنحو إلى الصلابة والتطبيق سعى الفقهاء إلى إدراجها في جملة من الشروط المستعصية على التطبيق"[٣].

أما عزيزة الحبيري[٤] فتصف المفسر والمجتهد بقولها: "إن جل كتاباتهم عبارة عن نتاج مجتمعهم التي قد تشبع بمنظور أبوي مضطهد للمرأة، فأصبح المفسر والمجتهد ينظر له المسلمون بوصفه قراءة موضوعية لنصوص القرآن"[٥].

وتحت عنوان فقهاء الإسلام والمرأة تقول النسوية فريال مهنا[٦]: "إنهم ببساطة – أي الفقهاء – يهمشون كليات الإسلام ويتجاهلون منطلقاته الأساسية ويطمسون رسالته الحضارية، ويتداولون فرعيات غير معينة بشرح تلك الكليات والمنطلقات أو

---

[١] حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص٢٤.

[٢] حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص٥٧-٥٨.

[٣] تاريخية التفسير، نائلة السليني، ص١٨١.

[٤] عزيزة الحبيري:أستاذة الفلسفة في جامعة رتشموند، ورئيسة منظمة الكرامة للمحاميات المسلمات الدافعات عن حقوق المرأة،وعضوة في حملة فرجينيا الدينية لمنع العنف الأسري، من مؤلفاتها المرأة والإسلام . انظر:دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، جيزيلا ويب، ص٢٨.

[٥] مدخل إلى حقوق المرأة، عزيزة الحبيري، ضمن كتاب دعونا نتكلم، ص٩٩

[٦] فريال مهنا: ناشطة سورية وأستاذة العلوم السياسة والاقتصاد في جامعة دمشق جامعة، حاصلة على الدكتوراه في الصحافة من جامعة بخارست برومانيا، ومسؤولة القسم الفرنسي في المكتب الصحفي في سورية.

انظر: موقع الفكر الإلكتروني http://fikr.com

بترجمة جوهر الرسالة وغاياتها وأبعادها الإنسانية المستمرة في الزمن، بل معنية فقط بالترويج لمفاهيم محنطة ونصوص مؤسطرة تتدافع داخل قوالب لفظية ولغوية غابرة... ترمي إلى قولبة حياة المرأة اليومية"[١].

ووجوب طاعة المرأة لزوجها وحديث نقصان عقلها ودينها هو في نظر الكاتبة شعار كتبه الفقهاء والدعاة على المرأة وخزعبلات وخرافات استنبطها الفقهاء والعلماء لإشغال السواد عن جواهر الأمور وأساسياتها المتعلقة بالعمل والتحصيل والسعي نحو التقدم والارتقاء.

وترى أن المرأة تحولت على أيدي الدعاة إلى مخلوقة مازوشية، روبوتية، مضروبة، ملطومة، موطوءة بالأمر، تستمرئ دونيتها وترضى بالاضطهاد والقهر[٢].

بل بلغ العداء لعلماء الأمة من قبل بعض النسويات إلى أن كتبت إحداهن: "حوت كتب التراث أخبار الخنثى المشكل واللوطيين والمخنثين والمساحقات كما أنها تضمنت إشارات بشأن سلوكهم ووضعهم القانوني والاجتماعي وما أحدثوه من خلخلة في بنية النظام الاجتماعي. والحكايات المروية عن حب الأحداث والولع بالمردان معروفة والبراهين الدالة على شيوع هذه الظاهرة لدى الخاصة والعامة، وحتى في صفوف الفقهاء والقضاة وفي أوساط المتزمتين أنفسهم كفقهاء المالكية وقضاتهم متوفرة، بل إن عاشق الغلام المتعفف عد في نظر بعضهم، شهيد الهوى"[٣] قاتلهم الله أنى يؤفكون!

والمحصلة النهائية لموقف النسوية العربية من الفقهاء هو كما ترسمه فاطمة المرنيسي بقولها: "إن الشك بكل شيء، وبخاصة الفقهاء والأئمة، تلك هي سنتنا، ويتوجب أكثر من أي وقت نبشها من عصور النسيان التي استطاعت إخفاءها"[٤].

---

(١) المرأة الأنثى والإنسان في الإسلام وتحديات حقبة المعلوماتية، فريال مهنا، ضمن كتاب المرأة وتحولات عصر جديد ص٥٣.

(٢) انظر:المرجع السابق، ص٥٤-٦٠.

(٣) مقال: منزلة المثليين في خطاب الإسلاميين – القرضاوي نموذجاً – آمال قرامي، موقع الحوار المتمدن http://www.alhewar.org .

(٤) الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص٩٧.

خامساً: دعواهم أن لكل شريعة مدة زمنية محددة.

اتفقت الباطنية على "أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر والإشكالات في القرآن والأخبار"[١].

ويقول الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) عن معتقدهم هذا: "قالوا: وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوحي في كل زمان"[٢].

وهذه الدعوى الباطنية نادت بها النسوية في العالم الإسلامي، إلا أنها ألبستها لباساً غربياً معاصراً، إذ نادت بتاريخية النصوص الشرعية المتعلقة بالمرأة تحت نظرية "تاريخية النص"[٣] الغربية، فآل الأمر إلى أن أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية كانت لحقبة زمنية معينة، وأنه ينبغي تقديم أحكام ومفاهيم جديدة على ضوء الواقع والتاريخ المعاصر.

تقول النسوية إقبال بركة[٤]: "موقف القرآن من المرأة كان موقفاً في عصر معين، ووضعت تلك القواعد لعصر معين، ومن الممكن جداً أن مثل هذه الأشياء قد لا يسمح العصر الذي نعيش فيه بتطبيقها"[٥].

وتقول آمنة ودود: "إن القرآن يقر بالتمييز بين الجنسين نتيجة لنزوله وفق ثقافة الجاهلية في التمييز، وعلى القارئ أن يراعي ذلك،

---

(١) فضائح الباطنية، الغزالي، ص ٤٢.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٩٣ – ١٩٤.

(٣) نظرية التاريخية: نظرية غربية تعني أن الحقيقة تاريخية أي أنها تتطور بتطور التاريخ، والإنسان هو الكائن الوحيد الواعي، ومن ثم لا مجال للحديث عن أي معرفة أو خبرة إلا بالنسبة إلى الإنسان، فالإنسان هو الكائن التاريخي الوحيد. انظر: المعجم الفلسفي، عبدالمنعم حفني، ص١٥.

(٤) إقبال بركة: كاتبة وصحافية مصرية ،جادلت مفكرين "إسلاميين" حول حقوق الإنسان ووضع المرأة في الإسلام، شاركت في تحرير عدة مجلات عربية منها مجلة صباح الخير ومجلة روز اليوسف ومجلة سيدتي ومجلة اليقظة الكويتية ومجلة الكواكب الفنية، من كتبها ورواياتها: الحجاب – رؤية عصرية، ، المرأة المسلمة في صراع الطربوش والقبعة. انظر: موقع ويكيبيديا الإلكتروني https://ar.wikipedia.org

(٥) انظر: الحجاب – رؤية عصرية، إقبال بركة،ص٣٣.

وأن هذا التمييز لا يعني أن القرآن يقره لكنه ترك مهمة التغيير مناطة بالتطور التاريخي"[١].

وترى فاطمة المرنيسي أن الأحاديث الخاصة بالمرأة قد تشكلت في ظروف وأحداث وعصر تتعالى فيه السلطة الذكورية، لذلك ترى وجوب العودة إلى التاريخ، الوقت، المكان، والحدث الذي ذكر فيه الحديث، ولابد أن نكون متجذرين في الحاضر، ومن الضروري أن نترك مسافة بينه وبين النص لكي نحلل مضمونه ونضفي عليه معنى، لابد أن يفصل القارئ زمنه الخاص، الحاضر، عن زمن النص[٢].

وتقول رغداء الأحمد[٣]: "اليوم تغيرت ظروف كثيرة وأصبحت المرأة منفقة في أسرتها، وحاملة العبء مناصفة مع الرجل، إن لم تكن أكثر بكثير حيث الأعباء الأسرية والمهام المجتمعية، وعليه يفترض أن تتغير الحقوق بتغير الواجبات، لأن الدين في أساسه هو حركة إصلاح اجتماعية وعبادية، ومن ثم هي متطورة دائماً وليست مقيدة بقوالب السلفية"[٤].

وترى ألفة يوسف إلى أنه: يجب النظر في هذه الأخبار [الأحاديث الخاصة بالمرأة] لفهم أسسها ومنطلقاتها وخلفيتها، ولا يتسنى ذلك إلا بتنزيلها في إطارها التاريخي المخصوص[٥]، وترسم منهجها في قراءة الأحاديث الخاصة بالمرأة بقولها: "قراءتنا للأحاديث النبوية لا تقوم على أيّ تجريح وتعديل بل تتعامل معها معطى تاريخياً غُفْلاً"[٦].

ولذلك ترى نائلة السليني أن المنهج الذي يسير عليه علماء المسلمين للتدليل عل ثبات أحكام المرأة الواردة في الكتاب والسنة إنما هو: "تقلّب بين النصوص وجري

---

[١] القرآن والمرأة، آمنة ودود، ص٢٥.

[٢] انظر: الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص ٣٢، ٤٥.

[٣] رغداء الأحمد: باحثة نسوية سورية قانونية، ومهتمة بشؤون المرأة، وتعمل في المكتب التنفيذي للاتحاد العام النسائي السوري.

[٤] الإخبار عن النساء، ألفة يوسف، ص٦٩.

[٥] انظر: ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف ص٨.

[٦] المرجع السابق.

وراء سراب الحقيقة التي أوهم السلف أنها كامنة في النص، وتكون المعاني المستنبطة هي الظن بالمراد ورجوع باللغة إلى وجه من أوجه معانيها"[١].

وتقول رجاء سلامة: "لا بد من مواصلة بيان تاريخية الأحكام الفقهية ولاسيما تلك المتعلقة بمجال المعاملات، ولاسيما تلك المتصلة بالمراتبية الاجتماعية، وبتقسيم الأدوار الاجتماعية"[٢].

وهكذا طغت نظرية تاريخية النص، على الفكر النسوي العربي حتى أبطلت جميع أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية، فلا تقرأ إحداهن أي حكم، أو نص إلا وتربطه بالتاريخية، ولو تعطل هذا التفسير لتوقفت حركة تلك القراءات.

سادساً: القول بنسبية الحقيقة:

نسبية الحقيقة هو دين الباطنية وهذا ما جاء في رسائلهم إذ يقول داعيهم: "فاعلم أن الحق في كل دين على كل لسان جار... فاجتهد يا أخي أن تبين الحق لكل صاحب دين ومذهب مما هو في يده، أو مما هو متمسك به، إن كنت تحسن هذه الصناعة.... ولا تمسك بما أنت عليه من دينك ومنصبك واطلب خيراً منه"[٣].

ويقول ابن عربي الصوفي: "فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتترك ما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك هيولي[٤] لصورة المعتقدات كلها فإن الله تعالى أوسع من أن يحصره عقد دون عقد فإنه يقول: (فأينما تولوا فثم وجه الله) [البقرة:١١٥]، ... فالكل مصيب وكل مصيب مأجور وكل مأجور سعيد وكل سعيد مرضي عنه"[٥].

---

[١] تاريخية التفسير القرآني، نائلة السليني ص١٢٢.

[٢] أهلية المرأة للمشاركة السياسية في الخطابات الدينية المعاصرة، رجاء سلامة، ورقة عمل نشرت في كتاب (النساء في الخطاب العربي المعاصر)، ص١١٣.

[٣] رسائل إخوان الصفا ٣ /٥٠١.

[٤] هيولي:لفظ يوناني بمعني: الأصل والمادة وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين:الجسمية،النوعية. انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٢٥٧.

[٥] فصوص الحكم، لابن عربي ص٦٠-٦١.

وكما هو دين الباطنية فهو دين النسوية في العالم الإسلامي إذ يقول داعيتهم: "إننا نرفع صوتنا عالياً لنؤكد أن القرآن وحده هو الصالح لكل زمان ومكان أما قراءاته البشرية فنسبية متصلة بانتماءات أصحابها وأطرهم التاريخية وعقدهم النفسية، إننا نرفع أصواتنا عالياً لنقول: إن الطبري أو الرازي أو ابن عاشور... لا يمتلكون قراءة مثالية نهائية للقرآن وإنما هم يمثلون ذواتهم المحدودة النسبية مثلما نمثل ذواتنا المحدودة النسبية، وهذه النسبية البشرية هي التي تجعل باب الاجتهاد مفتوحاً دائماً وهي التي تجعل كل قراءة للقرآن مغامرة دائمة شوقاً إلى المعنى الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى"[١].

ولذلك فإن جميع أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية عند النسوية التأويلية نسبية وهو ما تصوره زينب المعادي[٢] بقولها: "إنها مجموعة من الاجتهادات الفقهية المنتزعة قسراً من إطاريها الزماني والمكاني، محولة إياها من اجتهادات قابلة للتعديل، تحمل نسبتها في ذاتها إلى أحكام مطلقة لا يمكن تبديلها، بل وتصبح المطالبة بتعديلها تحريفاً وكفراً وكأنها أحكام قطعية"[٣].

ولذا فهم يؤسسون للشك والنقد في رؤيتهم للقيم الخُلُقية أو النصوص الدينية المتعلقة بالمرأة، وهذا ما صرحت به المرنيسي بقولها: "أعتقد بأننا نتقدم بسرعة ونعيش بطريقة أفضل إذا ما بحثنا عن الشك، وإذا ما تمكنت من تشكيك القارئ في معتقداته المسبقة وأنماطه الجاهزة حول ديناميكية الجنس فأكون قد حققت نجاحاً أكبر مما كنت آمله"[٤].

---

[١] حيرة مسلمة، ألفة يوسف، ص٢٢٣.

[٢] زينب المعادي: كاتبة مغربية من رائدات الفكر النسوي، وأستاذة الفلسفة والفكر الإسلامي بكلية الآداب المغربية، وعضو مؤسسة حقوق الإنسان المغربية، من المشاركات في المؤتمر العالمي لحقوق المرأة ببكين ١٩٩٥م كمسؤولة عن لجنة حقوق المرأة بالمنظمة لحقوق الإنسان، والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية بالقاهرة ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين ١٠ بنيويورك، من مؤلفاتها: الأسرة المغربية بين الخطاب الشرعي والخطاب الشعبي، انظر: موقع سيدات العرب على الشبكة العنكبوتية. http://aarabladies.com

[٣] المرأة بين الثقافي والقدسي، زينب المعادي، ص١١٢.

[٤] ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، فاطمة المرنيسي ص٨٩.

وتقول رجاء سلامة: "الوعي بالتاريخ وعيٌ بالنسبية، والوعي بالنسبية وعيٌ بالحدود، وما ينظم علاقات الناس في الدنيا مبصوم بالدنيوية، وإن كان ينطق باسم الدين، مبصوم بانتمائه إلى زمانه"[١].وتقول: "إننا نفضل الموقف التأويلي الذي لا يخفي الحقيقة عن الناس، أي لا يخفي ما في النص من أحكام نسبية"[٢].

[١] أهلية المرأة للمشاركة السياسية في الخطابات الدينية المعاصرة، رجاء سلامة، ورقة عمل نشرت في كتاب (النساء في الخطاب العربي المعاصر)، ص١١٣.

[٢] بنيان الفحولة، رجاء سلامة، ص٨٧.

المبحث الثاني: العلاقة العملية (التطبيقية) بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية

لم تقتصر العلاقة بين الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي والباطنية على العلاقة المنهجية بل امتدت إلى علاقة أخرى هي العلاقة العملية والتي تمثلت بما يلي:

أولاً: إبطال أحكام الشريعة:

من نتائج عقيدة الظاهر والباطن التي قال بها الباطنيون إبطال العمل بأحكام الشريعة، يقول أحد الدعاة الباطنيين: من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر[١]، وبناءً على هذا أوّل الباطنيون شعائر الإسلام وجعلوها رموزاً وإشارات إلى معاني أخرى تتوافق مع أصولهم الفلسفية، فالصلاة هي صلة الداعي إلى دار السلام، والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق، والصوم الإمساك عن كشف الحقائق لغير أهلها، والحج القصد إلى صحبة الأئمة والإحرام الخروج من مذاهب الأضداد[٢]... وهكذا أولوا جميع التكاليف الشرعية تأويلاً ينتهي إلى إبطالها أو على أقل تقدير عدم الاعتداد بظاهرها، بل وصل الأمر بهم إلى استباحة المحرمات الظاهرة في الشريعة كالزنا وشرب الخمر وغيرها[٣].

وما أشبه الليلة بالبارحة فإذا كان الظاهر والباطن هو المفسر لأحكام الشريعة في منظور الباطنية القديمة حتى انتهى بهم الأمر إلى إسقاط التكاليف الشرعية، فإن الرمزية والسيمائية والتاريخية هي المفسر الحقيقي لأحكام المرأة المسلمة، وطالما أن هذه الأحكام لا تحقق القيمة العليا للشريعة وهي العدل والمساواة والرحمة فهي ليست من الشريعة وإن كان مورست تاريخياً باسم الشريعة ليصل الأمر بهم إلى إسقاط جميع أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية.

ففي مسألة الحجاب ترى النسوية أنه بمعنى الاحتجاب وعزل النساء عن الجو العام وليس المراد منه ما هو منصوص عليه في نصوص الكتاب والسنة من اختمار المرأة بلباس شرعي له شروطه وضوابطه[٤].

---

(١) انظر:الهفت الشريف، المفضل الجعفي، ص٦٥.

(٢) انظر: الرسالة الدستور ودعوة المؤمنين للمنصور، للداعي الطيبي، ص٧٠-٧١، ضمن أربع رسائل إسماعيلية.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: المرأة والجنوسة في الإسلام، ليلى أحمد ص٥٨.

وترى طائفة من النسويات العربيات أن آيات الحجاب خاصة بزوج النبي صلى الله عليه وسلم وحرائر المؤمنين، وذلك من أجل تمييزهن عن الإماء والمومسات اللآتي يرغب السفهاء بالتعرض لهن، وهذا التمييز الطبقي العرضي الذي كان خشية الضرر لم يعد موجوداً فيما بعد، لذا، لم تعد فرضية اللباس مستمرة[١]، مستندين في تأويل ذلك على نظريات غربية هي: نظرية تاريخية النص، ونظرية التحليل النفسي.

والفكر النسوي يرى أن الاحتشام المعنوي والتعفف هما رقابة داخلية بذات المرأة لا تفرض عليها خارجياً، ولا تدل عليها قطعة القماش لتكون هي الميزان الذي يقاس عليه عفة وحشمة المرأة[٢].

بل ترى النسوية العربية أن القرآن لم يأمر بالحجاب ولم يفرضه، بل هي ممارسة اقتبسها النظام الأبوي السلطوي من بعض المجتمعات الوثنية، لتحجيم دور المرأة[٣].

وعليه فإن آية الحجاب عند النسويات العربيات إنما هو البساطة والتواضع في الاحتشام للجنسين، وأي مصادر أخرى تفسر الحجاب بخلاف ذلك فهي مصادر نسبية لا تصل لدرجة الوثوق بها[٤].

والقرآن لا يفرض نوعاً وقيداً على اللباس بل مرجعه للتعارف وقانون الاحتشام العام[٥].

وأخيراً ترى النسوية ألفة يوسف أن الحجاب هو رمز نفسي[٦]،يحمل معاني باطنية مستترة خلف ألفاظه ولا وجود حقيقي للحجاب بمعناه المفهوم من سياق القرآن، ولا من لغة العرب، بل له معانٍ باطنية لا يعلمها إلا جهابذة النسوية الباطنية، وهي

---

(١) انظر: الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي ص٢٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر: الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي ص٢٢٧-٢٢٩.

(٣) انظر :المرأة والجنوسة في الإسلام، ليلى أحمد ص٦٠.

(٤) انظر: الإسلام وحقوق المرأة، رفعت حسن، ص٩٨.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٠١.

(٦) انظر: ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف ص١٠٧.

الحقيقة النابعة خلف المتعة الأنثوية الموجودة وراء حجاب اللغة الذي لا يمكن التصريح به[١].

وبمثل هذه التأويلات الباطنية أسقطت الباطنية الحديثة الحجاب.

أما القوامة فتشريع أبوي سلطوي ولذا توجهت النسوية إلى آيات القوامة تفكك مدلولها، وتؤول معناها لتنتج معناً جديداً يتناسب مع العصر ويلغي التمييز القائم – كما يعبرن –.

فهذه آمنة ودود تشرح معنى القوامة بقولها: "إنها تعني التدابير المالية، وبالمقابل هم ليسوا مديرين ولا حكام. فالرجال قوامون على شؤون النساء التي منحها لهم الله على بعض النساء وبالطريقة التي ينفقون من خلالها الأموال، ومن ثم فإن الرجال كفئة غير قوامين على النساء كفئة، والقوامة التي يعنيها القرآن هي الاعتناء بالنساء"[٢].

وتشير ميسم الفاروق[٣] إلى أن آية القوامة من خلال تفاسيرها توطد للتمييز البيولوجي بين الجنسين، وأنها تتناقض مع باقي آيات القرآن الكريم، الذي لم يرد فيه فارق طبقي وإلى التأكيد على المساواة أمام الله – سبحانه وتعالى –[٤].

وتقول: "إن الأفضلية غير المبررة هي عمل مناف للأخلاق، وحقاً فليس من عدل الإله أن يفضل بعض خلقه على بعض، وبالطبع فالقرآن الكريم ينفي ببساطة أنه فعل ذلك، فالله سبحانه ليس لديه أناس مختارون أو جنس مختار مسبقاً. فكل المخلوقات متساوون وهي تستمد مساواتها من زوج وحيد، فمهما كانت فروقاتهم البيولوجية، فالمقربون عند الله هم الصالحون"[٥].

وترى نعمت حافظ: "إن آية القوامة والتفضيل لاتؤدي إلى فقدان النساء هويتهم الذاتية فحسب؛ بل أدت أيضاً إلى فقدان هوية الأجيال التي تلت.. وإن ادعاء الرجال

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١١٨-١١٩.

(٢) المرأة والقرآن، آمنة ودود، ص١٢٣.

(٣) لم أجد لها ترجمة.

(٤) انظر: الهوية الذاتية للمرأة في القرآن والشريعة، ميسم الفاروق، ضمن كتاب المرأة وتحولات عصر جديد، ص١٣٩.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٠.

القوامة والتسامي فوق النساء إنما هو مبني بشكل رئيس على القوامة (أي المسؤولية تجاه المرأة)، والدرجة (أي زيادة المسؤولية) كما ورد في آية القوامة"[١].

وفي تفسير قوله تعالى: (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) [النساء:٣٤]، تقول رفعت حسن في تأويلها: "إما أن بعض الرجال أعلى شأناً من بعض (الرجال أو النساء أو كلاهما) أو أن بعض النساء أعلى شأناً من بعض (الرجال أو النساء أو كليهما). ويبدو أن التفسير الأكثر اتساقاً مع السياق هو القائل بأن بعض الرجال قد وهبوا السعة التي تجعل منهم عائلين أفضل من بعض الرجال الآخرين"[٢].

وفي مسألة تعدد الزوجات تقول رغداء الأحمد: "كان التعدد مقبولاً، بل يلبي حاجات اجتماعية وسياسية ودينية، واليوم بعد تبديل الأوضاع وتغير الظروف، فإن الزواج الأحادي هو القاعدة في الإسلام"[٣].

وترى آمنة ودود أن الزواج الأحادي هو النظام العادل في مؤسسة الأسرة ومن المؤكد – فيما ترى – أنه يستحيل تحقيق المثل القرآني الأعلى فيما يتعلق بالتبادلية (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) وكذلك فيما يتعلق ببناء مودة ورحمة عندما يتوزع الأب الزوج بين أكثر من أسرة[٤].

وتقول ألفة يوسف: "ولايشير القرآن إلى تعدد الزوجات إلا في آيتين الأولى هي قوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا) [النساء:٣] والثانية هي قوله عز وجل {وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ ...}[النساء:١٢٩] إن الآية الأولى تشترط العدل بين النساء لجواز التعدد، وإن الآية الثانية تثبت استحالة هذا العدل مما ينفي جواز تعدد الزوجات"[٥].

---

(١) قراءة جديدة للقرآن: الهوية الذاتية للمرأة، نعمت حافظ، ترجمة: أنس الرفاعي، ص٧٦.

(٢) النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، رفعت حسن، ضمن مجموعة بحوث في كتاب النسوة والدراسات الدينية ص٢٢٩.

(٣) الفكر النسوي العربي ومفاهيم الجندر، رغداء الأحمد، ضمن مجموعة بحوث في كتاب: المرأة وتحولات عصر جديد ص ٤٨).

(٤) انظر: القرآن والمرأة، آمنة ودود ص١٣٤.

(٥) حيرة مسلمة، ألفة يوسف ص١٣٢.

وتقول رفعت حسن: "إن اعتباره – أي التعدد – تشريعاً مستمراً هذا من سوء فهم الفقهاء والعلماء"[١].

أما نصوص الميراث فترى النسوية التأويلية أنها نصوص غير سارية المفعول والتطبيق ويجب النظر للسياق التاريخي لتلك الأحكام واختزالها في زمانها ومكانها، والحكم بتاريخيتها النسبية، وعليه يجب إعادة فتح باب الاجتهاد وتغيير مفهوم النص عما كان عليه في وقت نزوله، والعمل بالنص وفق التقدم المعاصر ووفق ما يناسب ويحقق مبادئ حقوق الإنسان في العصر المادي المعاصر[٢].

وجعل الطلاق حقاً للرجل يمارسه متى شاء لا يتفق مع العدالة التي هي روح الإسلام[٣] وهو نوع من العنف البنيوي، وهو عنف أساسي ينفي حق المرأة في أن يكون لها حق في تقرير مصيرها[٤].

والعدة حكم لا يساير التطور العلمي الكبير في هذا الزمن، وهو نوع من الحبس للمرأة[٥] وشهادة المرأة في الإسلام ظلم للمرأة[٦].

والنفقة والمهر أحكام تاريخية تعود إلى العصر المملوكي الأبوي البطريركي[٧] ومنع المرأة من تولي الرئاسة يخرق مبدأ المساواة وهو من صنيع الفقهاء[٨].

---

(١) الإسلام وحقوق المرأة، رفعت حسن ص٨٩.

(٢) انظر: الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي ص١٥٨-١٥٩، والإسلام وحقوق المرأة، رفعت حسن ص١١٤، وحيرة مسلمة، ألفة يوسف، ص٣٤.

(٣) انظر: مقال: المرأة العربية وفكرة التحرر إلى فكرة الشراكة، منجية السوايحي، مجلة أفكار http://www.mafhoum.com

(٤) انظر: مقال العنف ضد المرأة في ثقافتنا التقليدية هل سنكون برابرة العالم، رجاء سلامة، مجلة الحوار المتمدن ، العدد (١٦٦٢)، ٢٠٠٦/٩/٣م.

(٥) انظر: مقال: هل العدة في الإسلام حبس للمرأة، منجية السوايحي، موقع إيلاف الإلكتروني، http//elaf.com. ،٢٠٠٨/١١/٢٠م.

(٦) انظر: المرأة والجنس، نوال السعداوي ص٥١.

(٧) انظر: مقال الإرث بين الإسلام ومجلة الأصول الشخصية، منجية السوايحي،موقع المنتدى الديني على الشبكة العنكبوتية،*www.d1g.com*،٢٠٠٧م.

(٨) انظر: سلطانات منسيات، فاطمة المرنيسي ص٣٢.

ما سبق هو بعض من الرؤى النسوية حول أحكام المرأة الشرعية، وإن كان هناك الكثير مما لم يتم الإشارة إليه مخافة الإطالة.. وبالجملة ينتهي الطرح النسوي إلى إبطال جميع أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية لأنها – كما زعمت إحدى رموز هذا الاتجاه – أحكام فقهية تجاوزها الزمن وجدت منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام وأصبحت هذه الأحكام في حاجة أكيدة للتجديد[١].

ثانياً: استباحة المحرمات:

كان ولازال هدف الباطنية إزالة الإسلام، وإسقاط التكليف، والدعوة إلى إطلاق الشهوات والملذات، والإباحية المطلقة،نقل عن صاحب كتاب البلاغ- من الباطنية- قوله:" ومالعجب من شيء كالعجب من رجل يرب نفسه بعقل ودين ينتحله تكون له أخت حسناء، أو بنت حسناء ليس له حرمة كحسنها فيحرمها على نفسه، وهو إليها محتاج، ويدفعها إلى رجل غريب أجنبي فينكحها، فيجعله أولى بها منه وأملك، وقد كان الواجب أن يكون الجاهل بإخته وابنته أحق وأولى لأنه أولى بستر عورتها من الغريب."[٢]

أما النسوية فقد تلونت صورة استباحتها للمحرمات بالتالي:

١- الدعوة إلى العري:

تحت عنوان (لم أعد أخجل) كتبت النسوية نادين البدير[٣]: رأيت تماثيل الآلهة القديمة عارية، رأيت أجساد النساء وقد نحتت في الشوارع والطرقات وعلى جدران الكهوف وداخل القصور والقلاع بطريقة شبه قدسية، الجميع تفنن في نحت جسدي الذي يحمل سر أعجوبة الخلق، رمز النسل والخصب، الجسد الذي لم يتمكن القدماء وأتباع الوثنيات القديمة من إخفاء انبهارهم بقدراته وأعاجيبه، فقدسوه وعبدوه.

---

[١] انظر: مقال هل العدة في الإسلام حبس للمرأة، منجية السوايحي، موقع إيلاف الإلكتروني، http//elaf.com. ،٢٠٠٨/١١/٢٠م.

[٢] بيان مذهب الباطنية ص٨١

[٣] نادين البدير: كاتبة صحفية وإعلامية سعودية، ومقدمة برامج تلفزيونية، تتبنى قضايا النسوية الليبرالية الاجتماعية والسياسية من خلال مقالاتها وبرامجها التلفزيونية، منها برنامج «مساواة» في قناة الحرة، وبرنامج «اتجاهات» في قناة روتانا، وهي مقيمة حالياً في دبي.
انظر: حوار مع نادين البدير في صحيفة أوان الكويتية، ٢٠/أبريل/٢٠٠٨م.

تصورت مصير تلك التماثيل والمنحوتات لو أنها خلقت في منطقتنا، تصورت أنها حُطمت، غُطيت بالملاءات، تصورت أيضاً أنها كانت منبعاً لتقدير المجتمع لأجساد نسائه بدلاً من مواراتها، كيف مجد السابقون جسدي وكيف ازدراه أهلي، لن أشارك بهذه الخطيئة، لن أعلن الحداد.

عدت إلى مجتمعي حيث يفاخر الرجل بمساحات الجسد المكشوفة، وتفاخر المرأة بمساحات الأقمشة المستخدمة، رغم أن المنطق يقول إن كان على أحد أن يداري جسده؛ فالأجدر بالرجال أن يخجلوا من أجسادهم؛ لأن أجساد النساء أجمل، الجمال هو الذي يجب أن يعم الشوارع لا العكس[١].

٢- الدعوة إلى الحرية الجنسية (الزنا):

تقول رجاء سلامة: "ما زالت ممارسة الجنس قبل الزواج تعدّ عاراً فاضحًا، وما زال النفاق الديني ينهش الأجساد والقلوب والأعمار، وما زال حظ الكثير من الشبان والشابات حرماناً جنسياً مكبلاً وبؤساً جنسياً وعاطفياً"[٢].

والرجل الشريف الواقف عند حدود الله والحافظ لقيم العفاف والطهارة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية تصفه فاطمة المرنيسي بأنه: "الرجل المكبوت جنسياً ينشغل برموز (كالطهارة) و(الشرف) لأن تجربته في الحياة الجنسية (وسخة) تبعاً لقواعد المجتمع وبالتالي تبعاً لقواعد الخاصة، فالشاب المغربي البدوي مثلاً الذي تحولت رغباته الجنسية بعنف عن هدفها (أي المرأة) فيدفع به ذلك إلى الاختيار بين مضاجعة الحيوانات أو الشذوذ الجنسي أو العادة السرية (وهي كلها أفعال يدينها النسق) سيكون أكثر حساسية بصفة خاصة إزاء أفكار الشرف والطهر"[٣].

أما الرجل الذي رتع كالبهيمة في أحضان المومسات ولم يترك لنفسه رغبة جنسية إلا فعلها فتصفه بقولها: "الرجل الذي أُرضي تناسلياً إنسان شريف، واع بواجبه، شجاع ومنتظم دون إثارة للضجيج، وكل هذه المميزات ترتبط عضوياً في شخصيته، والفرد الذي يعاني من ضعف تناسلي والذي تحفل بنيته الجنسية بالتناقضات يكون

---

[١] مقال: لم أعد أخجل، نادين البدير، صحيفة الوقت البحرينية، العدد (٨٠٣)، ١٤٢٩/٤/٢٧هـ.

[٢] مقال: عيد المرأة بأية حال يعود، رجاء سلامة، موقع الأوان ٨/ مارس/ ٢٠٠٩م.

[٣] ما وراء الحجاب،فاطمة المرنيسي ص١٨٣.

حذراً باستمرار حتى يتحكم في حياته الجنسية، وينقذ شرفه، ويناضل بشدة ضد المغريات..." [١].

أما ألفة يوسف فترى أن: تشديد الموانع الشرعية للممارسات الجنسية يطرح أمام الشباب مشكل تصريف الطاقة الجنسية بين الكبت الجنسي بنتائجه النفسية والبدنية الوخيمة وبين ممارسات جنسية كئيبة يصحبها في أغلب الأحيان شعور بالذنب تتفنن المؤسسة الدينية الحديثة في تعميقه وترسيخه[٢].

٣- الاستهزاء بالعفة والطهارة:

تقول فاطمة المرنيسي: "إن نظام الشرف يربط سمعة الرجل والنساء بمصير جهازهم التناسلي، فالرجل المحترم ليس ذلك الذي يدبر ثورة اقتصادية، ولكنه بالإضافة إلى ذلك الرجل الذي يتحكم في سلوك زوجته وبناته وأخواته الجنسي، وليس بوسعه أن يحق ذلك إلا إذا كان قادراً على ضبط تنقلاتهن والحد من حركتهن، وبالتالي التقليل من فرص التقائهن مع رجال أجانب قد يدنسن معهم شرف العائلة"[٣]. والعفة والطهارة لا وزن لها في ميزان النسوية، فهذه نوال السعداوي[٤] تقول: "لماذا نربط مفهوم الأخلاق أو الشرف بغشاء رقيق في جسم البنت، يمكن إعادته سليماً بمشرط الجراح؟ وإذ لم يكن للرجل هذا الغشاء فكيف نحكم على شرفه وأخلاقه"[٥].

---

[١] المرجع السابق ص١٨٤.

[٢] انظر: حيرة مسلمة، ألفة يوسف، ص ١٥٨.

[٣] ما وراء الحجاب، فاطمة المرنيسي ص١٦٧.

[٤] نوال السعداوي:كاتبة وروائية وطبيبة مصرية، ولدت سنة ١٩٣٠م، تقوم بتدريس مادة «التمرد والإبداع» بجامعات أوروبا وأمريكا، وهي تستمد مادتها من التمرد والعنف والثورة، وهذا واضح من خلال مؤلفاتها ومنها: «المرأة والجنس» و«الأنثى هي الأصل»، و«الرجل والجنس»، «الوجه العاري للمرأة العربية»، «المرأة في الصراع النفسي».

انظر: موقع نوال السعداوي على الشبكة العنكبوتية، رابط WWW.NAWALSADAWI.NET .

[٥] المرأة والدين والأخلاق، نوال السعداوي ص٤٨.

وتقول: "إن مفهوم الشرف وأخلاقيات الشرف الشائعة عند المسلمين ليست سوى علاقة تخلف وظلم يمارسها المجتمع ضد المرأة"[١].

ويشكل غشاء العفاف والطهارة أمام النسوية عائقاً للممارسات المحرمة التي يدعون إليها، إذ كتبت نادين البدير: "نحن – الإناث الشرقيات – لم نملك يوماً التعاريف، قدرنا كان جاهزاً، شرفنا كان مكتوباً، سلبنا براءة طفولة وشقاوة مراهقة، قد غابتا وسط ترقب وقلق عقدة غشاء؛ بل شباك متشابكة واهية من الأغشية والأغشية، هذا غشاء عرف، وذاك غشاء عيب، هذا غشاء مطاط، وذاك غشاء رقيق، وآخر سميك.. إن فتق بكارتنا الغريب... نص العرف والقانون على أن البكارة منبع ومهبط الأخلاق... وحين أخطأت يوماً وغرقت بالوحل مشت، بكت، مشت تبكي كثيراً، فقد خدشت شرف المجتمع، وشرف الشوارب والعضلات، هي الملامة وليس الشارب الذي خان قانونه الوضيع"[٢].

وتقول: "البكارة شبكة نفسية أكثر منها مادية خطط لها كسيد أدمن الغزوات، ابتكرها لإشعاره أنه ما زال يحيا مجد الوحشية وسيول الدماء، حتى عمليات الفتق والرتق تمنحه هذا الشعور"[٣].

إقرارهم باللواط (المثلية الجنسية):

تقول رجاء سلامة: "فالمثلية الجنسية لا تمثل جنساً ثالثاً، ولا جنساً بين بين، وليست مرضاً وليست شذوذاً، وليست خللاً بيولوجياً، وليست في حد ذاتها بنية نفسية"[٤].

ولتسويغ اللواط – والعياذ بالله – ولتسهيل شيوعه في المجتمعات الإسلامية تذهب ألفة يوسف إلى الزعم زوراً وبهتاناً بأن القرآن قد أقر ذلك فتقول: "لم لا يكون القرآن في تقريره أن الإنسان خلق من ذكر وأنثى يشير إلى الازدواج الجنسي البيولوجي والنفسي الذي يتميز به كل كائن بشري. وهذا التأويل الممكن مما يسمح به تركيب الآية المذكورة: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) ذلك أن اعتماد

---

[١] دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع الغربي، نوال السعداوي ص١٧-٣٠.

[٢] مقال: شرف بلد... أسير غشاء، نادين البدير، جريدة الوقت البحرينية، العدد ٨٧٣.

[٣] المرجع السابق.

[٤] مقال (المثلية الجنسية)، رجاء سلامة، موقع الأوان، ١٦/ديسمبر/٢٠٠٩م.

حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض قابل لتأويل تبعيض منفصل هو التفسير الشائع (خلقنا الناس من ذكور متمكنين في الذكورة ومن إناث متمكنات من الأنوثة) والتأويل تبعيض متصل لا تنفيه اللغة العربية (خلقنا الناس كل واحد منهم حاملاً في ذاته بعض السمات الذكورية وبعض السمات الأنثوية)... ورغم إمكان هذا التأويل المقيد ازدواجاً جنسياً في الذات البشرية الواحدة فإن القرآن يظل في سياقاته الأخرى كاشفاً عن تكامل أصلي بن المذكر والمؤنث وإن يكن في مجال تجريدي تصوري لا حسّي مادي. أفلم يؤكد الله عز وجل مرتين وحدانيته في مقابل الآلهة المتعددة الشائعة في الجزيرة العربية بإثباته أنه ليست له تعالى صاحبة بتاء التأنيث"[١] تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

وعند الكاتبة الفقهاء والمفسرين هم من وضع عقوبة اللواط فتقول: "إن الرازي وعدداً سواه من المفسرين استنكفوا غياب حد صريح للواط في القرآن فطفقوا يبذلون كل الجهود الحجاجية لإثبات ذلك الحد وإن كان ثمن ذلك أن يتعسفوا على لغة النص القرآني وعلى صريح كلام الله تعالى"[٢].

بل بلغ الأمر شناعته أن ادعت ألفة يوسف أن غلمان الجنة هم للخدمة الجنسية –والعياذ بالله– إذ تقول: "لئن صرح القرآن بخدمة الغلمان بتقديم كؤوس الشراب فإن بعض المفسرين رأى في التركيز على وصف الغلمان بصفات مستحبة مغرية ما قد يضمر إمكان اعتمادهم للخدمة الجنسية شأنهم في ذلك شأن الحور العين، لاسيما أن هؤلاء الولدان قد نعتوا بأنهم مخلدون بما لا يمكن أن يفسر إلا بأن هدفهم تحقيق متعة جنسية لمن عفّ عنها في الدين ... صحيح أن القرآن قد خلا من أي إشارة صريحة إلى اتخاذ الولدان موضوعاً جنسياً ولكن القياس قد يمكن من هذا التأويل على أساس أن الخمر قد حرمت في الدنيا وغدت جزاء في الآخرة وعلى أساس أن الحرير نهى الحديث النبوي الرجال عن ارتدائه غدا مباحاً في الآخرة"[٣].

وتقول آمال قرامي متهكمة على تحريم اللواط: "لأن الرجولة تعال وتفوق ومفاخرة بالفحولة وإشادة بالقيم الذكورية، فإن المجتمع البطريكي قاوم وما زال يقاوم

---

[١] حيرة مسلمة، ألفة يوسف، ص١٦٤–١٦٥.

[٢] المرجع السابق، ص٢٠٥.

[٣] المرجع السابق، ص٢١٤–٢١٦.

وجود هذه الفئات التي تعكس صورة مشوهة للذكورة وتشير إلى الاضطراب الجندري (مشكلة الجنس).

لقد كان خطاب الفقهاء بمثابة رثاء للرجولة وتفجع لغياب أهم صفات الذكورة في شخص المخنث واللوطي. وهو موقف مفهوم في ظل مجتمع بقي مشدوداً إلى عصر الفتوة وعصر الدعوة أو إلى ما هو تمثل لما كانت عليه حياة الأجيال الأولى"[١].

وترى قرامي ضرورة تقبل المجتمع للواطيين فتقول: "تلمس في خطاب الداعية المعاصر شعوراً بالمرارة بسبب إقدام بعض الكتاب أو المخرجين السينمائيين على هتك ستار فئات تعيش على هامش المجتمع (المسلم) الذي يتمسك جاهداً بالاصطفاء ويريد أن يكون أبناؤه فحولاً تفاخر بهم الأمة الإسلامية أمام سائر الدول التي تأنث رجالها نتيجة سقوط الحواجز بين الأنوثة والذكورة وذيوع الانحلال الأخلاقي. ولا معنى لمعالجة هذا الموضوع سينمائياً أو فكرياً إلا فضح لما يحاول الداعية إسبال الغطاء عليه: الإقرار بأن لا مجتمع ولا ثقافة يخلوان من وجود علاقات مثلية وممارسات جنسية متعددة"[٢].

والمحصلة الأخيرة لما تراه الكاتبة في اللواط هو إنكار عقوبته الشرعية ووصف من أقر العقوبة بأقذع العبارات فنراها تقول: "فهل يمكن اليوم تحريق اللوطيين مثلما فعل الصحابة؟ وهل يجوز القول إن على المسلمين أن يتمسكوا بمبدأ الإقصاء والنبذ والتهميش والإدانة وأن يمارسوا كل أشكال العنف تجاه المثليين؟

إن تناول موضوع المثليين بهذه الطريقة التقليدية والساذجة التي تتعامى عن الواقع في استخفاف بالمشاهد ... إن الخطاب المقدم لا هم له سوى تأسيس ثقافة الترهيب والتحريم والعنف"[٣].

---

[١] مقالة منزلة المثليين في خطاب الإسلاميين، القرضاوي نموذجاً، آمال قرامي، موقع الحوار المتمدن، www.ahewar.org .

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

المبحث الثالث: العلاقة الوجدانية بين النسوية في العالم الإسلامي والباطنية.

كثيراً ما تحتفي نسويات العالم الإسلامي برموز الباطنية، وتستعير أطروحاتهم الباطنية، وترتمي في أحضانهم مشيدة في منهجهم وفكرهم.

تقول النسوية نزهة براضة[١] في كتابها الذي صنفته في الإشادة بابن عربي الزنديق (الأنوثة في فكر ابن عربي): "تبلور فكر محيي الدين بن عربي من خلال وضعه الأسس النظرية والعلمية التي رسمت مجال الفعل والنظر الصوفيين بعده، وبرغم اختلاف تصور شيخ المتصوفة عن أنماط معرفية أخرى كالفقه وعلم الكلام والفلسفة... فإن صاحبه لايقصي ما يختلف معه بل ينتقد ويعيد سبك مبادئ وتصورات تداولتها أنساق معرفية سابقة أو معاصرة له، وقام بإدماجها في سياق دلالات جديدة فصاغ الشيخ الأكبر منظومة فكرية تنبني على معرفة ذوقية وقلبية لا تقتصر على العقل ومبادئه المنطقة التجريدية، لا تقف عند حدود معرفة الظاهر..."[٢].

وتصف ابن عربي بأنه المفكر الموسوعي، الفريد في استشرافه وخصوصيته، صاحب الفكر الأكبري... وبالمقابل تصف منهج من أسمتهم بأعداء ابن عربي – الفقهاء – بأنهم هم من يسعى إلى تهميش دور التعدد والاختلاف، ورسم تصورات تنبني على تراتبية عمودية، تحيل على أفضلية تمجد صفات تدل في عمقها على الذكورة، مما جعل التعارض بين التفكير الأحادي والفكر الأكبري، والنصوص عامة، تعارضاً جوهرياً، يشمل الأسس والتوجهات، وكثيراً ما تحول التعارض – الاختلاف– مواجهة قوية، وهجوماً شنه الفقهاء والفلاسفة على الفكر الأكبري بذريعة مخالفته الشرع وإنكاره العقل والمنطق. لكن بمجرد الاقتراب من النص الأكبري يتبين أن الشرع يرسم توجهاته وأبعاده، كما أن الشيخ محي الدين لا ينفي دور العقل بل يكشف عن حدود فعله، مما يعني أن سبب المواجهة لا يرجع إلى العلتين المعلنتين (الشرع والعقل) بل تفسره أسباب لا يتم الإفصاح عنها، ويمكن ربطها بالحضور المركزي للأنوثة، إلى جانب الذكورة[٣].

---

[١] نزهة براضة: باحثة وروائية مغربية، ومهتمة بشؤون المرأة، من مؤلفاتها، الأنوثة في فكر بن عربي و رحيل قمر.

[٢] الأنوثة في فكر ابن عربي، نزاهة براضة (ص١٠).

[٣] انظر: المرجع السابق، ص١٠-١١.

وتشيد النسوية سعاد الحكيم[١] بمنهج ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) وتعامله مع المرأة فتقول:" لقد تعامل ابن عربي مع المرأة على أنها مساوية للرجل في الإنسانية، مفارقة له بالعرض.. والأهم من ذلك لقد أرسى نهجاً يجمع بين العقل والقلب في استنباط الرؤى والأحكام، فإن كان العقل ينحو إلى تجريد الوقائع وتحويلها إلى مفاهيم يجمعا نسق، فإن القلب مفتوح على الصيروية يتسع لفهم الوجود ومعرفة المرأة ويتعالى عن الحصر والتقييد"[٢].

وتمتدح حسن عبود[٣] الاهتمام المتزايد من النسوية بالتصوف الباطني فتقول: "زاد الاهتمام به مؤخراً في أكثر من جهة بسبب أبعاده الروحية والإنسانية.." [٤].

أما فاطمة المرنيسي فتقول: "إن البحث الدائم عن الله، كان عند الحلاج، هو الذي يسمح بتجاوز الحجاب الذي يحجب وعينا"[٥].

---

[١] سعاد الحكيم:ناشطة نسوية و أستاذة علم التصوف بكلية الآداب بالجامعة اللبنانية. حصلت على الدكتوراه من جامعة القديس يوسف ١٩٧٧، من مؤلفاتها ، ابن عربي ومولد لغة جديدة، نظرية الحب عند ابن عربي، تاج العارفين (نصوص للجنيد البغدادي، دراسة وجمع وتحقيق)؛ ومن أبحاثها، الإصلاح الديني بين الأصالة والمعاصرة؛النص الإسلامي وأزمة الإنسان المعاصر.انظر: موقع القراءة الإلكتروني http://www.goodreads.com

[٢] محاضرة: المرأة في رؤية إسلامية متنورة من القرن السابع الهجري: صاحب الرؤية محيي الدين ابن عربي، سعاد الحكيم، مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، البحرين ٢٧/ نوفمبر/ ٢٠٠٦م، ضمن كتاب النسوية والمنظور الإسلامي، تحرير أميمة أبو بكر ص١٩٨.

[٣] حُسن عبود: كاتبة لبنانية وباحثة في الفكر الإسلامي وقضايا المرأة العربية المعاصرة،ناشِطة في تجمّع الباحثات اللبنانيات، واستاذة في جامعة الهايكزيان في بيروت،حاضرت في البلاد العربية في "منتدى الفكر العربي" في عمّان و"كلية الآداب" في جامعة القيروان و"مكتبة الإسكندرية" في مِصر و"المعهد الفرنسي" في دمشق و"كنيسة السريان" في حلب و"النادي الثقافي" في سلطنة عُمان و "النادي الأدبي" في الرياض.انظر: حوار مع حُسن عبود، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود،١/يناير/٢٠١٥م، www.mominoun.com/

[٤] ببليوجرافيا اتجاهات عامة وأساسية لنسوية إسلامية عربية المنشأ، حسن عبود، ضمن كتاب النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، ص١٩٨.

[٥] الحريم السياسي، فاطمة المرنيسي، ص١١٧.

وهذه ألفة يوسف تقدح بالمسلمين وعلماءهم والسبب كما تقول: "ليس لهم من دين إلا شعائر وطقوس يمارسونها شكلياً دون نفاذ إلى جوهر روحاني، يتوهمون أنهم أفضل أمة وهم مثال مضاد للبشرية، من حكمة الله تعالى أن خلق ظلامهم حتى يتبين البشر الآخرون نور العلم والحب والتسامح والإخاء...

شعوب قتلت الحلاج واستهجنت ابن عربي واستخفَّت بابن رشد... لا تحترم ثقافة ولا فكراً ولا عقولاً.. "[١].وتمايز بين سلوك الفقهاء والمتصوفة فتقول: "إن سلوك الفقهاء الديني ذكوري بالرمز ويؤكد خضوع البشر لسلطانه، وإن متعة الفقهاء قضيبية تقوم على لم شمل الأمة ضمن رؤية واحدة هي جوهر المجموعة وعمادها، أما سلوك المتصوفة فأنثوي يفتح باباً على الواقعي المفترض، وإن متعة المتصوفة غير قضيبية إذ هي متعة صامتة تقر بوجد لا تملك عنه تعبيراً"[٢].

أما أسماء المرابط[٣] فتشيد بفكر الفيلسوف ابن رشد، فتقول: إنه قدم خلال عصره في القرن الثاني عشر، منهجاً راقياً لحوار الحضارات، بناءً على ثلاثة مفاهيم، هي فهم الآخر من داخل مرجعيته، والحق في الاختلاف والرحمة المتبادلة.وتقول: إن العلم اليوم في أمس الحاجة، في ظل الأزمات الإنسانية التي يعيشها، والتي أضاعت جوهر الدين وأخلاقياته، إلى الثلاثية المفاهيمية للفيلسوف ابن رشد، وإلى الرجوع إلى روح الديانات السماوية، دون أن يعني ذلك العودة إلى ماضٍ مثالي خيالي، بل لاسترجاع أخلاقيات روحانية حقيقية[٤].

---

[١] انظر: مجلة جمهورية الإلكترونية، ٢٠١٦/١/٤م http://www.jomhouria.com/art

[٢] ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف، ص٩٧-٩٨.

[٣] أسماء المرابط: طبيبة مغربية وباحثة في قضايا المرأة في الإسلام، ومنسقة لمجموعة البحث والتفكير في الإسلام، ورئيسة مركز الدراسات والبحوث في القضايا النسائية بالرباط، من مؤلفاتها القرآن والنساء: قراءة للتحرر http://www.asma-lamrabet.com انظر: موقع أسماء المرابط الإلكتروني

[٤] انظر: ورقة عمل النساء في الديانات السماوية، أسماء المرابط، ضمن ندوة نظمها مركز البحوث في القضايا النسائية بالرابطة المحمدية للعلماء، ٢٠١٤/٥/١م، مجلة هسبريس الإلكترونية http://www.hespress.com/orbites/.htm

هـذه الزمـرة الباطنيـة بنظـر وريثتهـا النـسوية هـم الفئـة المـستنيرة المجددة،والعقلانية المستنيرة، وهذه العلاقة الشعورية التضامنية ماهي إلا نتيجة حتميـة للإرث المنهجي والعملي للباطنية.

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث والذي لم يكن ليقوم لولا محض فضل الله وتوفيقه، فقد بدا من خلاله ومن بين أسطره نتائج كثيرة ولا يمكن تسجيلها كلها ولذا سأحاول تسجيل أهمها وهي كما يلي:

١- يعتبر التأويل الباطني (القول بالظاهر والباطن) أهم رافد في الخطاب النسوي، وقد اصطبغ بذلك سواء على مستوى التنظير أو على مستوى الإعمال والتطبيق، مع تعديل المصطلح إلى الرمزية، والمغزى والمعنى، وما بين السطور، وما يخفيه النص...

٢- التفرقة النسوية بين التنزيل والتأويل، وبين القرآن ككتاب تنزيل، وتحوله إلى كتاب تأويل خاضع للمقاييس البشرية هي أساسها تفرقة باطنية جاءت من التفرقة الباطنية المنتشرة في كتبهم الفلسفية والفقهية بين التنزيل والتأويل أو المثل والممثول..

٣- دعوى الباطنية أن لكل شريعة مدة زمنية محددة هي صورة طبق الأصل لنظرية تاريخية النص التي نشأت في أحضان الفكر الغربي وتلقفها رواد الاتجاه النسوي بوصفها حلاً علمياً لاستمرار عطاء النص مع تغير الظروف الزمانية والمكانية.

٤- دعوى الباطنية أن الحق موجود في كل دين هي النسبية التي نادى بها الاتجاه النسوي وانتهت بهم إلى تساوي النصوص وتعدد تأويلاتها تعدداً لا نهائياً.

٥- إن أهم أزمة واجهها الخطاب النسوي في العالم الإسلامي هي ما يتعلق بدلالة النصوص الشرعية الصريحة على أحكام المرأة في الإسلام، ولتجاوز هذه الأزمة في الخطاب النسوي كانت الهجمة على سلف هذه الأمة وعلمائها بالتخوين تارة، وبنسبته العداء للمرأة تارة، ونسبة الكذب إليهم والغلظة والشدة تارة أخرى، حتى وصفوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بأنه أول من جنى على الإسلام وحضارته وقضى على

تطلعاته التحريرية في مهدها، ولا عجب فقد قال أشياعهم الباطنية من قبل أنه الطاغوت حاشاه ورضي الله عنه.

٦- وجدت نسويات العالم الإسلامي في الباطنية مرتعاً خصباً للمتعة الأنثوية التي لا تنقال – كما يعبرن – وبالتالي لا مجال لتحريم الزنا ولا لمنع الشذوذ الجنسي وأما تحريم الفقهاء لهذا كله – بحسب تعبيرهن – ما هو إلا انشغالاً بالمظهر عن الجوهر وبالقانون عن روح القانون – كما يعبر بذلك ابن عربي الباطني.

٧- آلت القراءة النسوية للنص الشرعي كما آلت القراءة الباطنية من قبل إلى أخطار على العقيدة الإسلامية منها:

أ- هدم مبدأ المرجعية لنصوص الكتاب والسنة من خلال تكذيبهم لمضامين ومعاني النصوص الشرعية، ورفضها وإلغائها، والتحريف والتعطيل والتبديل، فأتوا بتأويل لم يسبق له مثيل إلا ما جاء من أسلافهم الباطنية، حتى أخرجوا جميع النصوص دون حقيقة ثابتة، الثابت فقط هو اللفظ أما المعنى فيتغير من عصر إلى عصر.

ب- نزع القداسة عن النصوص الشرعية من خلال مساواة كلام الله – عز وجل – بكلام البشر.

ج- هدم العلم الشرعي من خلال الهجوم على أئمة الإسلام وتشويه صورتهم الناصعة.

د- إلغاء دين الإسلام واختراع دين جديد للمرأة يصح أن نسميه عبادة الأنثى، يقوم على إلغاء جميع التشريعات والمفاهيم المترتبة على الجنس وإحلال مصطلح (الجندر)، والمساواة المطلقة، وتقديس المرأة مقابل ازدراء الرجل ومنازعته في الأدوار والموارد والمسؤوليات.

ه- اتسم الموقف النسوي كما اتسمت الباطنية القديمة مع دعواهما الانتماء للإسلام من أحكام المرأة بالشريعة الإسلامية بالرفض التام لجميع تلك الأحكام، واعتبارها أحكاماً تاريخية، غير ممتدة الزمان والمكان، جاءت نتيجة التسلط الذكوري، وأنها من إفرازات المفسرين والفقهاء.

٨- لا تختلف مناهج الاتجاه النسوي في العالم الإسلامي في دراسة النص الشرعي عن مناهج الاتجاه الباطني، وبالتالي اتحدت النتائج.

٩- لم تقدم النسوية منهجاً أنثوياً في قراءة النص الشرعي خاصاً بها يتخطى ويخطأ المنهج الذكوري التقليدي – كما وعدت – بل ظلت عالة على القراءة الذكورية إذ اعتمدت مناهج فلاسفة وأئمة الباطنية بدلاً من مناهج علماء الأمة الإسلامية، بل وجدناها تحتفي بأئمة الباطنية وتخلع عليهم ألقاب التقديس والثناء وتسطر مؤلفات ومقالات بأسمائهم في علاقة وجدانية فريدة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع:

١- ألفة يوسف،١٤٣٢هـ، ط١، الإخبار عن المرأة في الكتاب والسنة، القاهرة: دار مصر المحروسة.

٢- القاضي النعمان بن محمد، أساس التأويل، د. ط، د. ت.

٣- خديجة العزيزي، ٢٠٠٥م، ط١ الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ، بيروت: بيان.

٤- رفعت حسن،٢٠٠٠م، ط١، الإسلام وحقوق المرأة، دار النجاح الجديدة.

٥- نزاهة براضة،٢٠٠٨م، ط١، الأنوثة في فكر ابن عربي بيروت: دار الساقي.

٦- رجاء سلامة، ، بنيان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث، تونس: دارالمعرفة.

٧- محمد بن الحسن الديلمي، ١٤٠٢هـ، ط١، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، لاهور: إدارة الترجمان.

٨- نائلة السليني، ٢٠٠٢م، ط١، تاريخية التفسير القرآني، بيروت: المركز العربي.

٩- ألفة يوسف،٢٠١٠م، د. ط، تعدد المعاني في القرآن، القاهرة: دار مصر المحروسة.

١٠-مصطفى غالب، د. ت، د. ط، الجيل الثالث، بيروت، دار اليقظة.

١١- مصطفى غالب، د.ت، د. ط، الحركات الباطنية في الإسلام بيروت: دار الكتاب.

١٢- مثنى الأمين الكردستاني، ١٤٢٥ه، ط١، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، الكويت: دار القلم.

١٣- سوسن الشريف، ٢٠١٥م، ط١، الحركة النسوية الإسلامية في مصر وعلاقتها بالآراء الفقهية، القاهرة: روافد.

١٤- فاطمة المرنيسي(ت١٤٣٦ه)، د. ت، د. ط، الحريم السياسي النبي والنساء، دمشق: دار الحصاد، د. ت.

١٥- ألفة يوسف،٢٠١٦م. و ط٣،٢٠٠٨م، ط٨، حيرة مسلمة في الميراث والزواج والجنسية المثلية، د. م:دار سحر للنشر.

١٦- نوال السعداوي،١٩٩٠م، ط٢، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٧- جيزيلا ويب. ٢٠٠٢م ،ط٢، دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، دمشق: دار الفكر المعاصر.

١٨- شمس الدين بن أحمد الطيبي(ت١٢٧٤ه)، عارف تامر، د. ت، ط١، رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، بيروت: دار الكشاف.
١٩- النعمان بن حيون، ت: عارف تامر، الرسالة المذهبة، بيروت: دار الأندلس.
٢٠- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، لجماعة من فلاسفة الباطنية، د:ط، بيروت، دار صادر، د.ت.
٢١- فاطمة المرنيسي، ترجمة فاطمة الزهراء زوريل،٢٠٠٠م، ط١، سلطانات منسيات حاكمات في بلاد الإسلام، بيروت، المركز الثقافي.
٢٢- عبد القاهر البغدادي، د. ت، د. ط، الفرق بين الفرق، بيروت: دار المعرفة.
٢٣- أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥ه)، د.ت، ط٢ ،فضائح الباطنية ، الكويت، مؤسسة دار الكتاب الثقافية.
٢٤- نعمت حافظ برزنجي، ت: أنس الرفاعي،٢٠٠٦م، قراءة جديدة للقرآن: الهوية الذاتية للمرأة.
٢٥- آمنة ودود، ترجمة: سامية عدنان،، ٢٠٠٦م، ط١، القرآن والمرأة إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، القاهرة: عربية للطباعة والنشر.
٢٦- عبد الوهاب المسيري(ت١٤٢٩ه)، ١٩٩٩م، ط١، قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، ، القاهرة: نهضة مصر.
٢٧- فاطمة المرنيسي(ت١٤٠٣٦ه)، ٢٠٠٩م، ط٥، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، المغرب: المركز الثقافي العربي.
٢٨- أحمد الكرماني(٤٥٨ه)، مباسم البشارات بيروت: دار الكتاب العربي.
٢٩- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(ت٧٢٨ه)، ١٤١٦هـ،ط١ – مجموع فتاوى ابن تيمية، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٣٠- زينب المعادي، د.ط، د،ت المرأة بين الثقافي والقدسي ، المغرب، دار الفنك، .
٣١- نوال السعداوي، د.ط، د،ت المرأة والجنس، بيروت، دار الفكر.
٣٢- ليلى أحمد، ١٩٩٩م، ط١، المرأة والجنوسة في الإسلام: الجذور التاريخية لقضية جدلية، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
٣٣- نوال السعداوي وهبة رؤوف عزت،٢٠٠٠م، ط١، المرأة والدين والأخلاق، بيروت، دار الفكر المعاصر.

٣٤- مجموعة باحثين، ٢٠٠٢م ،ط١، المرأة وتحولات عصر جديد، دمشق: دار الفكر.
٣٥- شهاب الدين أبي فراس(ت٣٥٧ه)، مطالع الشموس في معرفة النفوس، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، ت: عارف تامر، د. ط، د. ت.
٣٦- عبد المنعم حفني،١٤١٠هـ، ط١، المعجم الفلسفي، القاهرة، الدار الشرقية.
٣٧- محمد الشهرستاني ، د.ت، ط١، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة.
٣٨- ألفة يوسف،٢٠١٦م، ط٦، ناقصات عقل ودين، تونس: دار سحر.
٣٩- مجموعة من الباحثات، د. ت، د. ط، النساء في الخطاب العربي المعاصر، بيروت: المركز الثقافي.
٤٠- مجموعة باحثين، تحرير: أميمة أبو بكر، ترجمة: رندة أبو بكر،٢٠١٢م، ط١، النسوية والدراسات الدينية، مصر: مؤسسة المرأة والذاكرة.
٤١- أميمة أبو بكر،٢٠١٣م، ط١، النسوية والمنظور الإسلامي: آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة.
٤٢- محيي الدين بن عربي(ت٦٣٨ه)، ١٩٦٦م، ط٢، فصوص الحكم، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٦م.
٤٣- المفضل الجعفي(ت٧٩٦ه)، ت: مصطفى غالب، د.ت، ط١، الهفت الشريف، بيروت: دار الأندلس.
ألفة يوسف،٢٠١٤م، ط١، وليس الذكر كالأنثى في الهوية الجنسية، تونس: دار التنوير.

الصحف والمجلات:

- نادين البدير، مقال: شرف بلد... أسير غشاء، صحيفة الوقت البحرينية، العدد (٨٠٣)، ١٤٢٩/٤/٢٧هـ.
- أماني أبو الفضل،مقال: المرأة في القرآن، خبرة الباحث الاجتماعي في الاقتراب من النص القرآني، مجلة المرأة والحضارة، العدد الثالث، ١٤٢٣هـ،ص٢١٠.
- محمد فرحات ،مقال:مصطفى غالب حامل التراث الإسماعيلي وناشره" ،جريدة السفير اللبنانية، العدد٢٠٥٤، تاريخ ١٩٨١/٨/٢٣م.

المواقع الإلكترونية:

موقع الحوار المتمدن www.ahewar.org
موقع مجلة جمهورية الإلكترونية http://www.jomhouria.com/art

موقع مجلة هسبرس http://www.hespress.com/orbites/.htm
موقع أسماء المرابط www.asma-lamrabet.com
موقع دار الفكر http://fikr.com
موقع نوال السعداوي WWW.NAWALSADAWI.NET
موقع القراءة http://www.goodreads.com
موقع فاطمة المرنيسي http:www.mernissi.net
موقع سيدات العرب على الشبكة العنكبوتية. http://aarabladies.com
موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http:www.wikipedia.org
موقع إيلاف الالكتروني .http//elaf.com